المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخامس والعشرين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٩ شعبان سنة ١٣١٨

عشرون عاماً على مصر

زرنا الديار المصرية منذ عشرين عاماً فرأينا اهلها ينظرون الى الشام نظر المعجب بنجاحهِ المقدّر لهُ قيادة الامم الشرقية ويتمنّون ان يقتدوا بهِ وينسجوا على منوالهِ . ولم نكن اقل منهم اعجاباً ببلاد الشام ولا كنا رأينا بارقةً من بوارق الفشل التي توالت عليها بعد حين . ثم اصطدمت المصالح الوطنية بالمصالح الاجنبية في هذا القطر على ما اعتادهُ اهلوهُ منذ الوف من الاعوام وتجسَّمت السيادة المعنوية التي كانت لاوربا فيهِ بما اقرضتهُ اياهُ من الاموال فصارت حسيَّة وحاول التملُّص منها آونة بعد اخرى وهي تزيد استحكاماً الى ان قبض المصلحون على اداراتهِ كلها وادارها بما يعهد فيهم من الحنكة واصالة الراي فارتقت ارتقاء قلما يعهد لهُ مثيل في تواريخ الامم . وهاك خلاصة الدلائل الكثيرة على هذا الارتقاء

عدد السكان — أُحصي سكان القطر المصري سنة ١٨٨٢ فوجد عددهم ٦٨١٣٩١٩ نفساً وأُحصوا سنة ١٨٩٧ فوجد عددهم ٩٧٣٤٤٠٥ اي بلغت زيادتهم السنوية نحو ٣ في المئة . ولا مثيل لهذا النمو الاَّ في الولايات المتحدة الاميركية منذ مئة عام حينما كان سكانها يزيدون نحو ثلاثة في المئة كل سنة من المواليد والمهاجرة معاً . وعليهِ فقد كان عدد سكان هذا القطر منذ عشرين عاماً ستة ملايين وستمئة الف نفس وهو الآن في ختام القرن التاسع عشر عشرة ملايين وخمس مئة الف نفس واذا استمرَّت الزيادة على هذا النمط ضاق القطر بسكانهِ فاضطروا ان يعمروا رحاب السودان ايضاً

دخل الحكومة — للحكومة المصرية نوعان من الدخل الواحد دخلها كحكومة تدير شؤُون شعبها والثاني دخلها كشركة تجارية تدير بعض الاعمال الكبيرة التي تديرها الشركات التجارية

في البلدان الاخرى. ودخلها الآن لحكومة من الضرائب ونحوها ٩١٧ ٣٦٥ ٨ جنيهاً وكان منذ عشرين عاماً ٨٤٩ ١٧٩ ٧ جنيهاً اي ان الضرائب زادت نحو العشر فقط مع ان عدد السكان زاد اربعة اعشار وهذا دليل قاطع على ان الحكومة ساعية الى تخفيف وطأتها عن عاتق الاهالي. وقد كان ما يدفعهُ كل نفس من سكان القطر منذ عشرين عاماً مئة وعشرة غروش ونصف غرش اما الآن فما يدفعهُ كل نفس لا يبلغ ٨٢ غرشاً . واذا اضيف الى دخل الحكومة من الضرائب دخلها من مصالحها الاخرى كمصلحة سكة الحديد بلغ مجموع دخلها في السنة ١١ مليوناً و٢٠٠ الف من الجنيهات

واكثر دخلها من اموال الاطيان . وقد كانت مساحة الاطيان الزراعية منذ عشرين عاماً ٨٣٩ ٧١٥ ٤ فداناً وكانت اموالها ٢٧٠ ٩٨٩ ٤ جنيهاً اي كان متوسط ما تجبيهِ الحكومة عن كل فدان مئة وستة غروش . وتبلغ مساحتها الآن ٨٠٠ ٤٩٥ ٥ فدان . وتبلغ اموالها ٩٤٢ ٥٩٣ ٤ جنيهاً اي نحو ٨٣ غرشاً عن كل فدان. وكذلك قلَّ المال الذي تجبيهِ عن النخيل فكان ٧٢٧ ١١٤ جنيهاً منذ عشرين سنة وهو الآن نحو ١٠٣ آلاف جنيه فقط . اما عوائد المنازل فزادت بزيادة العمارة فقد كانت نحو ٥٨ الف جنيه وهي الآن نحو ١٣٨ الف جنيه . واكثر زيادة الدخل من الجمارك فقد كان دخلها نحو ٧٢٧ الف جنيه فصار الآن مليونين ونحو ٩٠ الف جنيه نصفها من رسوم الدخان والنصف الآخر من رسوم سائر البضائع الواردة الى القطر المصري والصادرة منهُ . وكانت رسوم الدخان منذ عشرين سنة نحو ٦١ الف جنيه فقط فصارت الآن مليوناً و٦٨ الف جنيه فكأن الحكومة فرضت ضريبة على شاربي الدخان لا تقلُّ على مليون جنيه في السنة . ومن شاء ان ينفق على ملذاتهِ لا تبهظهُ النفقات

نفقات الحكومة — زادت نفقات الحكومة المصرية كما زاد دخلها فهي الآن نحو عشرة ملايين من الجنيهات وكانت منذ عشرين عاماً نحو ثمانية ملايين ونصف مليون واكثر هذه الزيادة في ما ينفع البلاد ويعود على سكانها بالفوائد الجمة. اما ما لا فائدة لها منهُ كربا الدين والجزية التي تدفع الى الدولة العثمانية فقلَّ بعض الشيء كانا سنة ١٨٨١ نحو اربعة ملايين وستمئة الف جنيه وبلغا سنة ١٨٨٥ خمسة ملايين و ١٥٥ الف جنيه فصارا الآن اربعة ملايين و ٣٦٥ الف جنيه اي نقص ربا الدين نحو ثمانمئة الف جنيه في ١٦ سنة وذلك بتحويل الديون وايفاء البعض منها . وهاك تفصيل الفروع التي زادت نفقاتها

المعارف العمومية — كان مربوط نظارة المعارف في العام الماضي ١٠٦ آلاف جنيه وكان منذ عشرين عاماً ٥٦١ ٥٣ جنيهاً ثم زيد سنة ١٨٨٣ وجعل ١٠٣ آلاف جنيه لكنهُ هبط

بعد ذلك حتى بلغ ٦٢٩٧١ جنيهاً فقط سنة ١٨٨٧ وليس العبرة بما تنفقهُ الحكومة على مدارسها بل بعدد التلامذة وما ينفقهُ اهلهم على تعليمهم فقد كان عددهم منذ عشرين سنة نحو خمسة آلاف تلميذ وهم الآن اكثر من عشرة آلاف ولم يكن اهاليهم يدفعون شيئاً من اجرة تعليمهم فصاروا يدفعون الآن ثلاثين الف جنيه في السنة وزاد عدد المعلمين من ثلاثمئة الى اكثر من سبع مئة . والرغبة في المدارس الخارجة عن ادارة الحكومة لا تقلُّ عن الرغبة في مدارس الحكومة والمرجَّح انها تزيد عليها

الاشغال العمومية — زادت نفقات نظارة الاشغال العمومية نحو مليون جنيه في السنة وهذا تفصيلها ٤٠٠ الف جنيه لالغاء العونة (السخرة) و ٤٠٠ الف جنيه اخرى للترع والمصارف و ١٦١ الف جنيه للمباني العمومية كالمستشفيات والمدارس و ٣٠ الف جنيه للسكك الزراعية. والغاء السخرة وفتح الترع والمصارف من انفع الاعمال التي عملتها الحكومة المصرية لسكان هذا القطر ولا نبالغ اذا قلنا انهم يجنون منها سنويًّا اضعاف ما تنفقهُ الحكومة عليها. اما السخرة فمن الغائها ربح مالي للسكان يقدَّر بثلاثة اضعاف ما تنفقهُ الحكومة على الغائها وربح ادبي لا يقدَّر بمال واما الترع والمصارف فيكفي لاظهار فوائدها ان مساحة الاراضي الزراعية زادت بها اكثر من سبع مئة الف فدان واطياناً كثيرة لم يكن الفدان منها يساوي عشرة جنيهات فصار يساوي الآن اربعين او خمسين جنيهاً

سكك الحديد — بلغ دخل سكك الحديد في العام الماضي ٢١١٢٠٦٥ جنيهاً ونفقاتها ٩٥٠٤٢٩ وكان دخلها منذ عشرين عاماً ١٢٠٤٩٨٢ ونفقاتها ٤٥٤٨٤٨ جنيهاً فزادت النفقات نحو خمس مئة الف جنيه ولكن الدخل زاد نحو تسع مئة الف جنيه. وبلغ عدد الركاب في العام الماضي احد عشر مليوناً و ٢٨٤ الف نفس وزنة البضائع المنقولة ثلاثة ملايين طن وكان عدد الركاب منذ عشرين سنة ثلاثة ملايين و ٨٦ الفاً وزنة البضائع مليوناً و ١٤٣ الف طن فزاد عدد الركاب ثلاثة اضعاف وزنة البضائع نحو ضعفين واما النفقات فزادت ضعفاً واحداً

التلغراف — كانت اجرة كل عشر كلمات او كسر منها خمسة غروش بين الاسكندرية والقاهرة وعشرة غروش بين الاسكندرية واسيوط و ١٥ غرشاً بين الاسكندرية واصوان و ٢٠ غرشاً بين الاسكندرية وحلفا و ٢٥ غرشاً بين الاسكندرية ودنقلة و ٣٠ غرشاً بين الاسكندرية وبربر و ٣٥ غرشاً بين الاسكندرية والخرطوم. وعُمل بهذا النظام الى آخر سنة ١٨٨٧ ثم جُعلت اجرة الكلمات العشر الاولى خمسة غروش في القطر المصري كلهِ واجرة كل كلمة فوقها نصف غرش ومنذ سنة ١٨٩١ جعلت اجرة كل كلمتين نصف غرش حتى وادي

حلفا ثم تتضاعف الاجرة الى ما فوق حلفا . وكان دخل مصلحة التلغرافات منذ عشرين سنة ٤١٠٧١ جنيهاً ونفقاتها ٣٦٦٠٨ جنيهات وطول الخطوط التلغرافية ٥٤٢٩ جنيهاً وعدد التلغرافات المرسلة في السنة ٦٥٩١٢٦ فبلغ دخلها في العام الماضي ٥٩ ٤٤٨ جنيهاً ونفقاتها ٤٤٠٠٠ جنيه وطول الخطوط التلغرافية ٩٣٢٤ وعدد التلغرافات ٢٩٩٤٣٣٢ اي زاد عدد التلغرافات اربعة اضعاف ولم يزد المال الذي دفعهُ السكان اجرةً لها الاَّ اقل من خمسين في المئة

البريد — كان دخل مصلحة البريد منذ عشرين عاماً نحو ثمانين الف جنيه ونفقاتها نحو سبعين الف جنيه وعدد المراسلات الداخلية اقل من ثلاثة ملايين والخارجية ٨٣٧ الفاً فبلغ دخلها في العام الماضي ١٢٩ ٨٧٤ جنيهاً ونفقاتها ١٠٨ ١٩٨ وعدد المراسلات الداخلية نحو ١٣ مليوناً والخارجية مليونين و٦٥٩ الفاً فزاد عدد المراسلات الداخلية اكثر من ثلاثة اضعاف والخارجية اكثر من ضعفين ولم تزد النفقات ضعفاً واحداً . ولم يزد الدخل كثيراً لان اجرة المراسلات الداخلية نقصت النصف منذ سنة ١٨٩٠

هذا بعض ما نسطرهُ بمداد الشكر للرجال الذي بذلوا الجهد في اصلاح ادارة هذا القطر ولكن اذا ذكرنا اسماءهم واحداً واحداً وتحققنا نصيب كلٍ منهم من هذا الاصلاح لنعلم مقدار الحياة القومية التي بدت من الامة المصرية في هذه الاعوام العشرين لم نجد ما يسرُّ الصديق . ولا تدلُّ دلائل الحال على ان الامة المصرية مهتمة بفتح احضانها للذين يهاجرون الى بلادها من رجال الجد والاجتهاد اوربيين وغير اوربيين حتى يمتزجوا بها و يصيروا اعضاء حية في بنائها كما فعلت بجمهور الاتراك والشراكسة الذين هاجروا اليها منذ اربعين عاماً فاكثر. ولا هؤلاء المهاجرون من الاوربيين وغيرهم راغبون في هذا الامتزاج كما يرغب فيهِ امثالهم من نزلاء الولايات المتحدة الاميركية مثلاً وعليهِ فجمهور كبير من رجال هذا الاصلاح يحسبون اجانب عن القطر المصري ولو انتظموا في حكومتهِ واقاموا فيهِ السنين الطوال

لكن اذا لم يجد الصديق ما يسرُّهُ من هذا القبيل وجد من قبيل آخر من ارتقاء شؤُون الامة بنوع عام فاصحاب الاطيان يجنون منها اليوم اكثر مما كانوا يجنون منذ عشرين عاماً او ثلاثين وجمهورهم وجمهور الفلاحين يعرف الآن ما لهُ فيتقاضاهُ وما عليهِ فيوفيهِ ولا يصبر على الضيم ولو من مدير او وزير . وقد شيدت اركان الامن وحفظت الصحة العمومية وارتفعت اثمان الاطيان لكثرة النقود في ايدي الناس . واهتمَّ الخاصة والعامة بتعليم ابنائهم بل بتعليم بناتهم ايضاً ودلائل الارتقاء بادية في كل انحاء هذا القطر

رحلة دوق ابروزي

كثيرًا ما تجشَّم اهل السياحة المشاق واقتحموا الاخطار وعرَّضوا انفسهم للموت الزؤَام لاجل الوصول الى القطب الشمالي . ولهم من ذلك غرضان الواحد علمي والآخر تجاري . اما الغرض العلمي فمدارهُ الوقوف على احوال تلك الاصقاع الجرداء التي كستها الثلوج فلم تبقِ فيها من انواع الحيوان غير ذوات الفرو الكثيف او الدهن الكثير حتى تجد من كسائها الطبيعي واقيًا يقيها صبارَّة القر . واما الغرض التجاري فاكتشاف طريق يصل بين شمالي اوربا واقاصي المشرق حتى ترسل المتاجر فيهِ بدلاً من ارسالها في طريق السويس او حول افريقية . والى الآن لم يبلغوا هذا الغرض ولن يبلغوهُ لانهم لم يجدوا بحرًا خاليًا من الجليد حول القطب كما ظنوا لكنهم بلغوا كل ما راموهُ علميًّا اي انهم عرفوا اكثر الظواهر الجوية والحوادث الطبيعية التي تحدث في الاقطار القطبية

واشهر الرحلات الحديثة التي قُصد بها البلوغ الى القطب الشمالي رحلة باير الذي تمكن هو ورجالهُ سنة ١٨٧٤ من الوصول الى الدرجة ٨٢ من العرض الشمالي اي بقي بينهم وبين القطب ثماني درجات او نحو ٤٥٠ ميلاً . وسنة ١٨٧٦ وصل ماركهام الى الدرجة ٨٣ والدقيقة ٢٥ . وسنة ١٨٩٥ وصل نانسن الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ . وقد وصل رجال دوق ابروزي هذا العام الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ فلم يبقَ بينهم وبين القطب الشمالي سوى ثلاث درجات و ٢٧ دقيقة اي نحو مئتي ميل . وهاك تفصيل هذه الرحلة ملخصًا مما كتبهُ الدكتور اولندو ملاغودي في مجلة الستراند الانكليزية

كان للسفينة ستلاَّ بولاري (اي نجمة القطب وهي التي سار فيها دوق ابروزي) وداع حافل يوم ابحرت من مرفإِ كرستيانا عاصمة بلاد نروج في الثاني عشر من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ قاصدةً اقاصي الشمال . ابحرت واعلام المدينة تخفق لها ومدافعها تدوي لوداعها والجماهير الكثيرة تدعو لها بالسفر الميمون والعود القريب . وكان بين المودِّعين الدكتور نانسن الرحالة الشهير فوقف يزفُّ الى الراحلين نصائح الخبير المجرَّب ويقوي عزائمهم ويشجعهم على اقتحام الاهوال وكان يكلمهم كمن هو واثق بنجاح رحلتهم وعودهم سالمين غانمين

اما الخطة التي كان دوق ابروزي ينوي اتباعها فلم يكن احد يعرفها غير رجالهِ وقد اسرُّوها لكي لا تصل الى اصحاب الصحف السيَّارة فيكثر اللغط فيها والايهام بها. وكان معهُ عشرة من الايطاليين وعشرة من النروجيين الآ ان اعتمادهُ كان على الايطاليين ولم يأخذ النروجيين معهُ

الاَّ لاعتيادهم السفر في البحار الشمالية . وهو ابن دوق اوستا الذي تولَّى عرش اسبانيا من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ وابن عم ملك ايطاليا الحالي . طويل القامة نحيف الجسم قليل الكلام لهُ ولع شديد باقتحام المخاطر اذا كان من اقتحامها نفع ما ولاسيما اذا كان النفع علميًّا . يلقبهُ اخوهُ بالعضو العلمي في آل سافوى . درس في مدرسة ليفورنو الحربية ولما اتمَّ دروسهُ طاف في البلدان يدرس اخلاق اهلها وعاداتهم واكثر من الصعود الى قمم الجبال العالية الى ان صعد الى قمة جبل مار الياس في اقاصي اميركا الشمالية بعد ان تعذَّر على غيرهِ البلوغ اليها كما ذكر في الصفحة ٧٩٤ من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف

والسفينة من سفن الصيد استعملها نانسن في رحلتهِ الاولى الى غرينلندا وقد مضى عليها سبع عشرة سنة تمخر في البحار لصيد الحيتان الشمالية فابتاعها دوق ابروزي ووكل اصلاحها الى رجل ماهر ببناء السفن فاصلحها وقوَّاها على احتمال ضغط الجليد وسميت نجمة القطب . طولها ١٥٠ قدماً وعرضها ٣١ قدماً وعمقها ١٦ قدماً ومحمولها ٤٩٥ طنًّا وفيها سوار عالية وشراع واسع وآلة بخارية صغيرة تسير بها خمسة اميال في الساعة ولكنها لا تستعمل الاَّ عند الحاجة الشديدة اذ لاسعة فيها للفحم الكثير . وبني على ظهرها بيت كبير يسع ١٢٠ كلباً من الكلاب التي تجر المزالق على الجليد وغرف واسعة للضباط . وقد جمع فيها دوق ابروزي كل ما يحتاج اليهِ من الزاد والادوات اخذ الاطعمة والخمور من ايطاليا والآلات من المانيا والثياب المشمعة من انكلترا والفراء من روسيا ورأَى كل شيءٍ بنفسهِ حتى اذا رآهُ نانسن يفعل ذلك قال هذا شأن من يفلح في امرهِ ولا يكل اعمالهُ الى غيرهِ . وكان الزاد كثيراً يكفي من في السفينة اكثر من ثلاثة اعوام وهو وسائر المواد في الف وخمس مئة صندوق والصناديق صغيرة حتى يستسهل الرجل حمل الواحد منها . وهي اربعة انواع حسب المواد التي فيها تمتاز بما عليها من الخطوط فصناديق الزاد خطوطها سوداء وفي كل صندوق منها شيءٌ من كل انواع الزاد كالخبز واللحم والخضر والاشربة حتى اذا ضاع بعضها لا يكون فيهِ ما ليس في غيرهِ . وقس على ذلك صناديق الثياب وصناديق الادوات وصناديق الالعاب . والغرض من الالعاب كالشطرنج والنرد ونحوهما تسلية البحارة في الشتاء حتى لا يملوا ولا يسأَموا

وكان غرض نانسن في رحلتهِ الاخيرة ان يصل الى القطب الشمالي بسفينتهِ معتمداً على مجرى الجليد الذي اكتشفهُ وحسب انهُ يجري بسفينتهِ من سيبيريا الى غرينلندا فتمر على القطب الشمالي . فجرى الجليد بها كما قدَّر لكنهُ لم يمرَّ بها على القطب الشمالي بل بقيت بعيدة عنهُ فاضطرَّ ان يركب المزالق و يسير الى القطب على الجليد فبلغ الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ من العرض

الشمالي كما تقدَّم. اما دوق ابروزي فلم يعتمد علي مجرى الجليد بل عزم ان يصل الى القطب في المزالق واخذ السفينة معهُ ليصل بها الي ابعد ارض يسهل عليهِ الوصول اليها فيتركها هناك ويرسل منها بعثات الواحدة بعد الاخرى ويبعث معها زادًا تضعهُ في الطريق فكل بعثة تمهّد السبيل للتي بعدها وتضع لها الزاد في طريقها الى ان تصل البعثة الاخيرة الى القطب. وتدرس كل بعثة احوال البلاد التي تصل اليها حتى يكون اختبارها مرشدًا للبعثة التي تليها

وقامت نجمة القطب في الثاني عشر من شهر يونيو كما تقدم وبلغت مدينة اركنجل على سواحل روسيا في غرة يوليو ومن هناك اخذت المئة والعشرين كلبًا المعدَّة لهذه الرحلة وكان الغران دوق فلادمير الروسي قد جاء الى اركنجل ليودع دوق ابروزي فودعهُ واقلعت السفينة من هناك في ١١ يوليو فبلغت راس فلورا في جزيرة فرنز جوزف بعد عشرة ايام ووجدت هناك كوخًا بنتهُ بعثة جكسن الرحالة وكتبت عليهِ ان كل المكاتيب التي توضع فيهِ تعود بها سفينة الصيد كابلاً الى اوربا حينما تمر من هناك في اواسط اغسطس. فوضع الدوق في ذلك الكوخ زادًا يكفي رجالهُ ثمانية اشهر حتى اذا اضطروا ان يعودوا من ذلك الطريق وجدوا فيهِ طعامًا لهم ثم سار بسفينتهِ قاصدًا دخول الخليج القطبي الانكليزي وبعد عناء شديد خرقت السفية الجليد وسمكهُ خمسة وسبعون سنتيمترًا ووصلت الى بحر لا جليد فيهِ. والتقت هناك بسفينة الصيد كابلاً وفيها ولمن الرحالة الاميركي وقد كسرت ساقهُ وفقد البعض من رفاقهِ. وبعث من في نجمة القطب مكاتيبهم مع الكابلاً وفي جملتها كتاب من دليل اسمهُ بتيغاس يقول فيهِ تمرُّ بنا الايام والاسابيع سراعًا والبرد معتدل فقلما يهبط الترمومتر تحت الصفر وامس اشرقت الشمس ببهائها فعكس الجليد من اشعتها ما يبهر الابصار. وقد قويت سفينتنا على مقاومة هجمات الجليد وهي تمخر فيهِ وتشقهُ ولو كان ثخنهُ اربع اقدام واذا كان ثخنهُ اكثر من ذلك وعجزت عن شقهِ اطلقنا لها البخار فتثب فوقهُ وتكسرهُ كسرًا مسافة اربعين مترًا او خمسين ولا يفارق الدوق مَرْقَب السفينة وقد لا ينزل لتناول الطعام ولا يدع فرصةً للتقدُّم الاَّ غنمها ونحن نسرُّ بذلك لانهُ على قدر تقدُّمنا هذا العام يقل تعبنا في العام المقبل ”

وظلت نجمة القطب سائرة الى ان بلغت الدرجة ٨٢ والدقيقة ٥ من العرض ولم تبلغ سفينة اخرى هذا المدى في البحر وقد جازتهُ سفينة نانسن لكنها سارت محمولة بالجليد. ثم عادت نجمة القطب من هناك لانها لم تجد مرفأً تقيم فيهِ الى ان وصلت الى حيث الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٧ وهناك توالت عليها الكوارث فاجتمع الجليد حولها وتكاثف وضغط عليها ضغطًا شديدًا حتى كاد يسحقها ثم وقعت عليها قطعة كبيرة منهُ فكسرت جانبها وللحال جعل الماء

يدخل من الكسر حتى حسب من فيها انها غارقة لا محالة ثم تحرَّك الجليد فادارها واما لها على الجانب الآخر فنجت من الغرق ولكنها لم تعُد تسكن واضطرَّ الدوق ورجاله ان يغادروها ويفقدوا

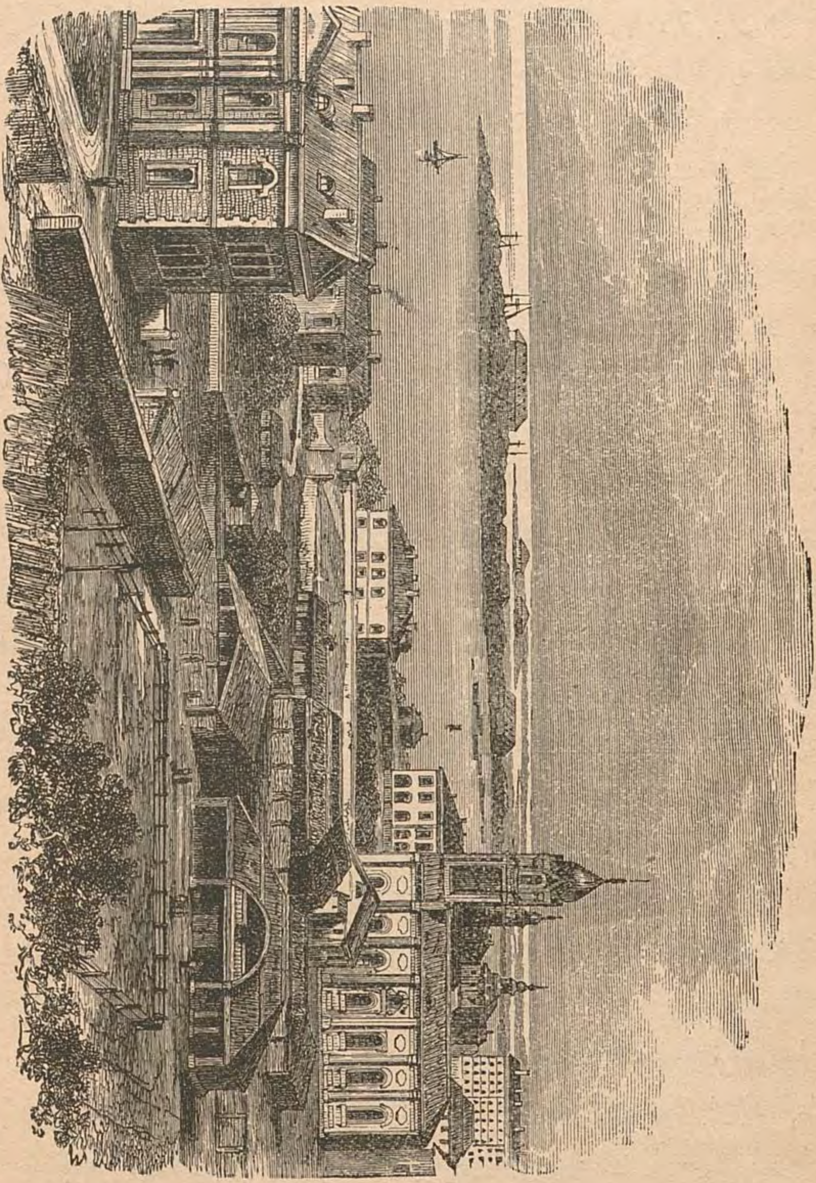

مدينة اركنجل

كل ما اعدوه فيها من وسائل الراحة والدفء ويخيموا على الجليد في ذلك الزمهرير . وكان معهم خيمتان فنصبوهما وغطوهما بشراع السفينة ووضعوا بينهما موقداً يطبخون عليهِ و يستدفئون

منهُ وكان مع كلٍّ منهم دثار من جلد الذئب الطويل الصوف فلم يقرهم البرد مع انهُ كان قارساً جدًّا ولاسيما في الليلة الاولى فجلد بهِ كل شيءٍ حتى الجزم . وبنوا للكلاب زريبة من الخشب تقيها عصف الرياح . ومضى فصل الشتاء والضباط يبحثون عن مجاري الاوقيانوس والقطب المغنطيسي والنور القطبي وتكوُّن الجليد وامتدادهِ وحرارة الهواء والبحر وسمك طبقة الارض وطبائع الحيوانات القطبية ونحو ذلك من المباحث العلمية . وداموا متمتعين بالصحة التامة الى يوم عيد الميلاد وحينئذٍ مضى الدوق وثانيهِ ليمتحنا المزالق فقرَّهما البرد وهرأَ ايديهما فابيضت اولاً ثم اسودَّت حتى ظنَّ الطبيب ان لا بدَّ من قطع احدى يدي الدوق ثم رأى انهُ يمكن الاكتفاء بقطع اصبعين من اصابعهِ فقطعهما ومن ثمَّ انحرفت صحتهُ ولم تعد الى حالها الاولى واضطرَّ ان يلازم خيمتهُ اربعة اشهر متوالية لكنهُ اعدَّ بعثات المزالق في غضونها وحاول اولاً ارسالها في آخر فبراير فلم تستطع الذهاب لان البرد كان شديداً جدًّا ٥٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد فماتت الكلاب من شدتهِ واضطرَّ الرجال ان يعودوا في اليوم الثاني

ثم ارسل بعثة أُخرى في ١١ مارس وفيها ثلاثة عشر رجلاً وثلاث عشرة مزلقة و١٠٨ كلاب فوجدت من المشاق في طريقها ما لا يوصف وكانت تضطر احياناً كثيرة ان تقطع جبال الثلج بالفؤوس لكي تسير بينها. ورأى رئيسها ان الزاد الذي اخذتهُ معها قد لا يكفيها لكثرة ما كان يأكلهُ رجالها فاعاد ثلاثة منهم في ٢١ مارس ومعهم زاد يكفيهم عشرة ايام فانقطع خبرهم من ذلك الحين ولم يُسمَع عنهم شيء حتى الآن. وفي الحادي والثلاثين من مارس ارجع ستة آخرين ومعهم زاد يكفيهم خمسة وعشرين يوماً فوصلوا الى المخيم سالمين . وبقي هو وثلاثة من الايطاليين سائرين في طريقهم والجليد كثير العراقيب متراكم القطع الى ان بلغوا الدرجة ٨٥ من العرض ومن ثمَّ صارت حقول الجليد منبسطة فسارت مزالقهم عليها سيراً حثيثاً وقل زادهم كثيراً فاقتصروا على اكل لحم الكلاب لكن عزائمهم لم تضعف لانهم كانوا عازمين ان يبلغوا الدرجة ٨٧ حتى يقال انهم فاقوا كل من تقدم من قصَّاد القطب الشمالي

وفي الرابع والعشرين من ابريل وصلوا الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ٣٣ من العرض والدرجة ٦٥ من الطول ورأَوا هناك انهُ لم يبقَ لهم سبيل للتقدُّم لانهُ لم يبقَ معهم زاد فاضطروا ان يعودوا ادراجهم فاقتضى ذهابهم خمسة واربعين يوماً وايابهم تسعة وخمسين يوماً ولم يجدوا ارضاً في طريقهم وكان الجليد يغطي البحر كلهُ في ذهابهم واما في ايابهم فوجدوهُ قد تقطع وصار جزائر طافية في البحر فصاروا يضطرون ان يثبوا من جزيرة الى اخرى او يقفوا على الجزيرة ويدفعوها حتى تسير بهم كالقارب الى ان تصل الى غيرها . وتخطوا رفاقهم في رجوعهم واوغلوا

جنوباً نحو ٤٤ دقيقة ثم عادوا ادراجهم لما اكتشفوا خطأهم ووصلوا سالمين ولكن على آخر رمق لانهم اضاعوا مزالقهم كلها ولم يبقَ معهم من الكلاب الاَّ سبعة

وبذل النجارون جهدهم في اصلاح السفينة فوجدوا انها لا تستطيع البقاء هناك شتاء آخر . وفي الثامن من اغسطس انفكَّ عنها قيد الجليد فقام الدوق ورجالهُ وتركوا جانباً كبيراً من الزاد هناك للرجال الذين ضلوا الطريق يكفيهم سنتين اذا عثروا عليهِ. وعادوا بالسفينة الى الخليج الانكليزي فوصلوهُ في يوم واحد لكنهم وجدوهُ مسدوداً بالجليد فبقيت السفينة تجاهد ستة عشر يوماً واشرفت على الغرق مراراً كثيرة واخيراً وصلوا الى بحر لا يغيطهِ الجليد وفي اليوم الاخير من اغسطس وصلوا الى راس فلورا فوجدوا فيهِ رسائل البريد وقد تركتها لهم سفينة الصيد كابلاً في ١٢ يوليو الماضي وفيها كتاب من الملك همبرت ملك ايطاليا . ولما اطَّلع الدوق عليهِ كان عمهُ قد قضي قتيلاً . ووصلت السفينة الى كرستيانا وحياها الرحالة نانسن وقال مخاطباً دوق ابرزوي . " لقد احييتم تاريخ ماركو بولو وخريستوفورس كولمبوس واوغلتم في الشمال يا ابناء الجنوب اكثر مما اوغل ابناء الشمال " . هذا ما يفعلهُ ابناء الملوك في اوربا لخدمة العلم والتجارة فكيف لا ترتقي بلادهم وتسود غيرها

نجيب صروف

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

(تابع ما قبلهُ)

ختمنا الكلام في الجزء الماضي بوصف قصر الحراج وقد فاتنا وصف كثير من المواد المعروضة فيهِ كالفطر وخشب الكينا وصمغ الكاوتشوك والبخور والاعشاب والاوراق والقشور والجذور والاثمار البرية التي تؤكل او تستخرج منها الاصباغ او تعصر الزيوت او يصنع الورق. فانواع الفطر تعدُّ بالمئات واصنافهُ بالالوف والكاوتشوك قطعهُ في حجم البراميل الكبيرة والاعشاب والاوراق ونحوها شاملة كل ما يستعمل في الصناعة والطب وكل ما يؤكل وينتفع بهِ . وانواع الخشب والوانهُ تفوق الوصف من الاسود الى الابيض والاحمر والاصفر بكل درجاتهما وكثير منها من قلب افريقية من الكنغو الفرنسوي وغيرهِ

وقد عُرض في هذا القصر كثير من اسلحة مشاهير الرجال كاسلحة قيصر الروس والسيف الذي اهداهُ الامبراطور بونابرت الى القيصر اسكندر الاول سنة ١٨١٧ وفي صفيحة مقبضهِ

ثمانية حجارة كبيرة من الماس ومقبضهُ ذهب وغمدهُ عاج . ومن ذلك زوجا طبنجات من بونابرت ايضاً للقيصر اسكندر الاول احدهما مقبضهُ عاج مرصع بالذهب والثاني مقبضهُ خشب مرصع بالفضة وبندقية للامبراطورة اليصابات بتروفنا مرصعة بالفضة صنعت سنة ١٧٥٠ وبندقية اخرى مرصعة بالذهب وفرد مرصع بالذهب والفضة. وفرود الامير عبد القادر الجزائري مقابضها من الذهب وخشبها مرصع معرَّق وسبع من بنادق بونابرت

لو اردنا ان نباري الامم الاوربية والاميركية في القسم الطبيعي من هذا الباب لوجدنا السبيل الى ذلك سهلاً فعندنا من الاخشاب الارز والجوز والسنديان والزيتون والخرنوب. ومن الاصباغ النيل والفوة والقرظ والسماق. ومن الصموغ الصمغ العربي واللبان والكثيراء واللاذن. ومن العقاقير الصبر والحنظل وعرق السوس. ومن الياف النبات القطن والقنب والكتان . ومن نتاج الحشرات الحرير والعفص والقرمز. ومن نتاج البحر الاسفنج واللؤلؤ وعرقهُ. لكننا اذا جاوزنا ذلك الى ما هو صناعي قصرنا عن ادراك الاوربيين بل عن ادراك اسلافنا الاولين

”الباب العاشر — في الغذاء من طعام وشراب وهو ثمانية فصول اولها في الانية والمعامل والطرق التي تصنع بها الاطعمة والاشربة كمطاحن الدقيق ومعامل النشا والمعاجن والافران وادوات العجن ومعامل الفطائر والبقسماط ومعامل الحلاوة ومعامل الثلج وحفظهِ وحفظ اللحوم والاسماك من الفساد وحفظها وحفظ الخضر والاثمار في العلب ومعامل السكر وتكرير السكر ومعامل الشكولاته والكوكو ومحمصات البن ومقالي الحبوب والانابيق وما يتبعها من آلات التقطير ومعامل الغازوزة والخمارات الى غير ذلك من معامل الطعام والشراب. والفصل الذي بعدهُ يشمل انواع الدقيق والحبوب المقشورة ونشا البطاطس ودقيق الارز وجريش العدس واللوبياء وغيرهما من القطاني والشعيرية والماكروني والسميد وطعام الاطفال ونحو ذلك

والفصل الذي يليهِ يشمل كل انواع الخبز والرقاق والفطائر وقد عرضت آلات هذا الفصل مع كثير من آلات الفصل الاوَّل من فصول هذا الباب على ضفة السين الشمالية فراراً من دخان افرانها وحر نارها . فيرى الناظر هناك جميع ادوات الخبز وانواع المعاجن والافران التي تخبز الرغيف الذي يبلغ في الطول ثلاث اذرع او اربعاً من الارغفة الطويلة او يبلغ قطرهُ ذراعين من الارغفة المستديرة تارةً من العجين الخمير وطوراً من العجين الفطير. ويرى ما يفوق الوصف من اشكال الاقراص والفطائر والرقاق والطلم والبقسماط والكعك وسائر انواع الخبز التي بلغ خبازو باريس غاية التفنن فيها وفي عرضها داخل العلب المزوقة والسلال المنمقة. وقد رأيت قرب معرض ” لولو “ المشهور بجودة كعكهِ ولذة طعمهِ سلاً هائل الكبر يشبه

برانيط النساء العالية في شكلهِ مدلّي من سقف وتحتهُ صبرة بل رابية عظيمة مخروطية الشكل من انواع الكعك " والبسكويت " المختلف الاشكال والالوان كأن ذلك الكعك انهال كلهُ من السلّ وتراكم تحتهُ عالياً كالتل

والفصل الذي بعد هذا يشمل انواع الملبسات والمربيات والمعاجين والحبوب المطيبة والممسكة والهلام فكل ما يباع في اسواق القطر المصري من الملبس الافرنجي داخل العلب وخارجها ومن المربيات والمعاجين الحلوة يصنع ويعرض في المعرض. وزد على ما تقدم مشروبات القهوة والشاي والهندباء (الشيكوريا) ونحوها والملح والبهارات والتوابل والافاويه والمواد الحريفة كالخردل والكري وجميع الاوراق الحريفة . ويلي هذا فصل مختص بحفظ اللحوم من الفساد إما بالثلج او بمجاري الهواء الباردة او بغيرها من الوسائط وبصنع اقراص اللحم واقراص الشوربا وخلاصات اللحوم وحفظها. وبالسراطين وبالسمك المثلج والمقدد والمكبوس في البراميل او في الزيوت والعلب وبالثمار اليابسة وغيرها

واما الفصول الثلثة الباقية فتعم جميع انواع الخمور والعصير والمشروبات الروحية والمشروبات الحلوة وقد اشترك عارضو فصل الخمور والمسكرات مع عارضي فصل الكرم وعددهم سبعة آلاف عارض وانشأوا لمعروضاتهم مباني وحانات وخمارات تسمى بمدينة الخمور فالعارضون من جهات " بورجون " في فرنسا شادوا حانات بديعة على مثال المباني الفرنسوية القديمة منذ ٦٠٠ او ٧٠٠ سنة فيها خمور بورجون مثل خمر ديجون وغيرها من خمورهم الشهيرة وآخرون بنوا قبة بديعة الزخرفة وعرضوا فيها خمر " ارْمنياك " . وخمارو جهات " شَارنت " اختاروا بعض الابنية القديمة التاريخية في جهاتهم وبنوا حانات على شكلها عرضوا فيها خمور الكنياك التي طار صيتها في الآفاق كما يطير سمها بعقول مدمنيها . وعارضو جهات " الجيروند " شادوا قصراً بديعاً وعرضوا فيهِ خمورهم الشهيرة كخمر مَدُوك وخمر جراف وخمر برساك وغيرها . وانشأ بعض عارضي الشمبانيا حانة ذات جنات معلقة تبهج الناظرين على ان كل تلك الحانات والقصور لا تكاد تذكر بجانب القصر الذي أنشأتهُ لجنة من تجار الشمبانيا وجعلتهُ آية في الجمال والزخرفة والاتقان يتهافت المصورون على تصويرهِ لحسنهِ كما يتهافت الشريبون على شرب خمورهِ . ففيهِ حانة يباع فيها كل يوم خمر من خمور الشمبانيا التي يصنعها محل من المحلات العارضة فيهِ . وفيهِ خمارة تصنع فيها الشمبانيا امام الناظرين ثم تصب في قناني وتحلى ويسدُّ عليها بالفلين . ويلي هذه الخمارة مخزن تلصق فيهِ الاوراق على ٣٠٠٠ قنينة من تلك القناني باسم الشمبانيا وصانعيها وتلبس افواهها المسدودة ورق الزنك ثم توضع في الصناديق والسلال

لتصدر الى الاقطار. وفي الطبقة العلوية من هذا القصر قاعة للاستراحة ومحل لشرب الشمبانيا تعرض فيهِ خمور واحد وثلاثين من العارضين

ويطول بي الكلام جدًّا لو اردت استيفاء وصف هذا القصر وغيرهِ من البنايات والحانات الكثيرة التي اقامها العارضون في مدينة الخمور. فاقتصر على ذكر حانة بنتها لجنة من باعة الخمور تعرف "بسنديك سومور" على عجلات تدور بها من الصباح الى المساء فتري الناظرين كل ما هو معروض فيها. وقد صنع بعضهم دنًّا لم يسبق لهُ مثيل في الكبر والاتساع لو ملئ خمرًا لوسع ٣٦٠٠ متر مكعب منها اي ما يكفي نحو اربعة ملايين نفس او مضاعف اهل باريس على ان هذا الدن الذي يوهم ظاهرهُ بانهُ وعاء للخمر ليس كذلك في الحقيقة بل ان من يدخل اليهِ يجدهُ بناية فخيمة ذات اربع طبقات تحتوي اربعة وخمسين كشكًا او حانًا لبيع الخمور وفي الطبقة الرابعة منهُ خمارة وموسيقى تطرب الشاربين

علي اني اذا اقتصرت علي ذكر طرف مما صنعهُ باعة الخمور ولم اذكر بعض ما صنعهُ غيرهم فانما اوَّدي الي ذهن القاريء صورة ناقصة التصور فان محل مينيه المشهور بالشكولاته التي يصنعها ويصدرها الى جميع اقطار المعمور جعل معرضها مما يخلب العقول فبنى بناء عظيمًا على مثال اول سفينة شراعية جاءت بحبوب الكاكاو التي تصنع الشكولاته منها الى فرنسا في عهد الملك لويس الخامس عشر وركَّب عليهِ ما كان في تلك السفينة من الطبقات والسواري والدقل والحبال وما شاكل. وجعل اسفل هذه السفينة معملًا للشكولاته ركَّب فيهِ عددهُ وآلاتهِ ووضع فيهِ عمالهُ يعملون الشكولاته امام عيون الناظرين ويوزعون شيئًا منها مجانًا علي جماهيرهم من حين الى حين فلذلك تراها مزدحمة بالناس دائمًا ازدحامًا لا مثيل لهُ الاَّ حيث يوزع الطعام او ترى "الفرُجَ" مجانًا. وجعل ظهر السفينة والطبقات التي عليهِ حوانيت يبيع فيها البائعات ما يصنع من الشكولاته مغلية او مبردة بالثلج الى غير ذلك من المشروبات والمأكولات. ووضع في وسطها بين ظهرها وقعرها صور البلاد التي ينبت فيها الكاكاو وقصب السكر وغيرهما مما تصنع الشكولاته منهُ. وقد اذكرني توزيع الشكولاته مجانًا محلاًّ اميركيًّا يوزّع الطعام مجانًا على كل من يصعد اليهِ فوق معرض الآلات الزراعية الاميركية. وطعامهُ هذا الوان عديدة منها جامد ومنها سائل ومنها حلو ومنها مالح وكلها مصنوعة من الذرة الاميركية وقد ذقتها فاستطيبت اكثرها وقصد طابخها وموزعها مجانًا على المئات والالوف التي تقصد محلهُ في المعرض يوميًّا ان يقنع الناس بانهم يستطيعون طبخ الذرة الوانًا عديدة مختلفة الطعوم بثمن بخس لا يذكر فيستغنون بها عن سواها من المآكل الثمينة. ولما كانت الذرة اشهر ما يقتات بهِ

الفلاح المصري فيخلق بالذين يهمهم امر راحتهِ ولذتهِ في معيشتهِ ان يوجهوا عنايتهم الى هذا المحل الاميركي وطبخهِ عساهم ان يهتدوا الى تحسين غذاء الفلاح المسكين بلا زيادة تذكر في نفقاتهِ

وقد نافس صانعو النبيذ من الاعشاب والحبوب كالبيرة والجعة والمزر وصانعو العصير من التفاح صانعي الخمور والارواح في خماراتهم فان صانعي البيرة من الفرنسويين اتفقوا وانشأُوا بناءً حسناً جداً من احدث طراز لصنع البيرة يصنعونها في طبقتهِ السفلى ويعرضونها للمزر والذوق في طبقتهِ العليا وحذا صانعو نبيذ التفاح حذو صانعي البيرة فانشأُوا لهُ محلاً جميلاً كثير الزينة والزخرفة وعرضوا فيهِ نبيذاً معتقاً منذ عشرين وثلاثين سنة

اسلفت ان بابي الزراعة والغذاء معروضان في قصر فخيم خاص بهما يسمى باسمهما. ولكن في وسط هذا القصر قاعة تعدُّ من اعظم معجزات هذا المعرض وتسمى بقاعة الاعياد قائمة على ارض قائمة الزوايا طولها ١٦٥ متراً وعرضها ١٤٢ متراً وهي معقودة عقداً مستديراً قطرة دائرتهِ ٩٠ متراً وتسع ٢٠ الف نفس. وهذا العقد قائم على ثمانية اركان عظيمة وثمانية اعمدة كلها من الحديد ووزنها ١٢٠ الف كيلو غرام (٢٦٤٠ قنطاراً مصرياً) وفيها من النقش والزخرفة والصور والمنحوتات شيءٌ كثير ولكن الكلام على ذلك يكون عند وصف جمال المعرض لا وصف عظمتهِ وكمالهِ فلا اتعرض لهُ هنا "

وقد اقتصرت على ما ذكرهُ اخي الدكتور نمر في هذا الباب لانهُ جمع فاوعى ولم يترك لي مجالاً لازيد عليهِ شيئاً يذكر الاَّ الالتفات الى ما عرضتهُ البلدان الأُخرى في هذه الفصول فانها كلها بارت فرنسا ولو لم تبلغ شأوها وعرضت من الآلات والادوات والمصنوعات ما يفوق الوصف فترى المطاحن الالمانية تطحن الدقيق على درجات شتَّى من الخشونة والنعومة وتعجنهُ وتخبزهُ وآلات التبريد السويسرية تبرد الماء وتجمدهُ. ومن اغرب ما عُرض من هذا القبيل آلة اميركية تضغط الهواء حتى يسيل ويصير ماء فترى الآلة التي تضغطهُ تدور من غير ان تسمع لها صوتاً كأَنها جبَّار عظيم يعتمد على قوة ذراعيهِ لا على الصوت والجلبة والهواء ينضغط فيها فتتقارب دقائقهُ بعضها من بعض حتى تتغلب قوة الجذب التي بينها على قوة الدفع فتترك النفور والنشوز وتعود الى الوفاق والوئام فتتجاذب وتتماسك وتصير مثل الماء الذي نشربهُ وتجرى الى مستودع كبير وهناك رجل يقف كل يوم امام هذا المستودع ويفتح حنفية فيهِ امام الناظرين وهم مجتمعون حولهُ عشرات ومئات فينصبُّ الهواء السائل من الحنفية كأَنهُ ماء تحت ضغط شديد فيملأُ بهِ اناءً كبيراً وهو يرغي ويزيد اولاً ما دام الاناء حارًّا بالنسبة اليهِ ولكن الاناء يبرد حالاً فيقف السائل عن الارغاء والازباد ويصفو لونهُ فتراهُ ابيض شفافاً لا

يفرق عن الماء القراح واذا لمستهُ بيدك لم تشعر الاَّ كانك لمست ماء. واذا صُبَّ شيءٌ منهُ في اناءٍ آخر ارغى وازبد اولاً وصعد عنهُ بخار ابيض كثيف يملأُ الفضاء فوقهُ حتى اذا برد الاناء الذي صُبَّ فيهِ زال البخار والارغاء. وكان مع هذا الرجل ولد خبيث فجعل يأْخذ الهواء السائل بيدهِ ويرمي بهِ الحضور فوقع بعضهُ في عيني واذني فذعرت من ذلك في اول الامر لا لانني خفت منهُ حقيقة بل لان اعصاب الخوف الموروث تفعل فعلاً غير خاضع للارادة. وقدَّمت اسمي الى الرجل فادخلني الى داخل الحاجز الذي بينهُ وبين الناس لكي أَتمكن من استيضاح ما يفعلهُ بهذا الهواء فرأَيتهُ يضع فيهِ سلك الحديد فيحترق بنور ساطع يبهر العيون ويضع فيهِ ساكين متصلين فيلتحمان معاً ويصبُّهُ في اناءٍ ويضع الاناء في الماء فيجلد الماء على ظاهرهِ ثم يفرغهُ من الاناء فيقع الماء الجامد عنهُ وقد صار كاساً من الجليد. ويصبُّهُ في اناءٍ لهُ ثقب ضيق يسدهُ بفلينة ويضعهُ في الماء فيتمدَّد بعضهُ داخل الاناء ويدفع الفلينة بعنف شديد فتصعد من الثقب كأَنها رصاص البنادق. ويضع فيهِ طابة من الكاوتشوك فتصلب ويكسرها فتنكسر كالزجاج. واخذ برنيطتي وصبَّ فيها شيئاً منهُ فامتلأَت دخاناً ابيض كثيفاً ووضع قليلاً منهُ في برنيطة رجل آخر والبسهُ اياها فجعل الدخان يصعد من رأْسهِ وحاول الرجل مسح السائل عن شعرهِ فجعل شعرهُ يتكسَّر كانهُ ابر الزجاج فتركهُ حتى طار الهواء السائل عنهُ فعاد الى حالهِ. وكان المراد اجراء مركبات الاوتوموبيل بهذا الهواء السائل وامتحان ذلك في مدينة باريس بعد ايام لكنني اظن نفقاتهِ كثيرة تزيد على نفقات غيرهِ من المحرّكات

ولم يعرض من البلدان الشرقية في هذا الباب غير الممالك الصغيرة التي انفصلت عن السلطنة العثمانية وبلاد يابان وقد اجادت كلها في عرض خمورها ومربياتها وحلوياتها ومكبوساتها ونالت الجوائز عليها. ولم تُترك مصر وسورية من غير ممثل في هذا الباب فعرض الخواجه سليم بولاد مجموعة بديعة من خمور لبنان شهد المتحكمون انها من افخر الخمور المعروضة في المعرض واعطوهُ النشان الذهبي. وكنت اتمنى ان نناظر غيرنا في غير الخمور ايضاً ولكن ما كل ما يتمنى المرءُ يدركهُ

الباب الثامن — في المعادن والتعدين وقد وفاهُ اخي الدكتور نمر حقهُ من الوصف في رسالتهِ التي نشرت في المقطم فرأَيت ان اثبتها برمتها هنا ثم اضيف اليها وصف ما منعهُ ضيق الوقت من رؤْيتهِ او من وصفهِ قال: "لما دخلت قصر المعادن والتعدين في معرض باريس هذا الصيف ورأَيت معجزات الافرنج في استخراج جواهر الارض وفلزَّاتها من معادنها وفي صهرها واذابتها وسبكها وافراغها ودقها وتقسيتها وإلانتها وسائر اساليب صناعتها قلت ان اصلب المعادن

اضحى بيد هؤلاء الاوربيين ألين واطوع من العجين . فانهم يسحبون الحديد الذكر دقيقاً كالشعر ويفتلونهُ كالحبال ويجدلون القضبان الغليظة من الفولاذ الصلب ويضفرونها كقضبان الشجر او يعقدونها اناشيد كما يعقد الخيط او الشريط ويلوون خطوط السكك الحديدية ويعصدونها كما تلوي "عصيدة" الدبس بيد الحلوانية . ويفرغون الحديد صفائح عظيمة ثخينة تزن من القناطير الوفاً كثيرة ويطبعونهُ او يطبعون الفولاذ منهُ لوالب ومسامير لا تكاد ترى بالعين لصغرها ودقتها ولا يزن الكثير منها درهماً . ويطرقون سبائك الذهب ورقاً حتى ينفذهُ شعاع الشمس لرقتهِ وتطير نسيمات السحر بهِ لخفتهِ

وأعترف للقارىء الكريم اني قصدت قصر المعادن والتعدين وانا اقدم رجلاً وأُؤخر اخرى فاني كنت اعلم قبل دخولهِ ان الباب الحادي عشر معروض فيهِ وان فصولهُ ثلثة (٦٣ الى ٦٥) وهي حفر المعادن والمقالع وتعدينها اي اخراج فلزاتها وجواهرها وقلع صخورها . وصناعة تلك الجواهر (المعروفة عادة بالمعادن) الكبرى . وصناعتها الصغرى وسيتضح الفرق بينهما مما يلي . فكنت كلما فكرت في فصول هذا الباب اتصور الظلام والتراب والاتون والفحم والنار والكور والكير والدخان ونحو ذلك من وحشة المناجم العميقة المظلمة وسواد اماكن الفحامين ودكاكين الحدادين واقابلها بما كنت أراهُ من آيات الحسن والجمال والكمال في معارض الفصول الاخرى فأُحجم عن زيارتها مع علمي بعظم فائدتها وأُؤخر رؤيتها حتى افرغ من رؤية غيرها . ولم يدر في خلدي اني اجد فيها ما يسرُّ الخاطر او يقرُّ الناظر غير الاجراس المعلقة تحت قبة على قصرها وعددها ٣٢ جرساً اصغرها يزن ٤ كيلوغرامات وقطر دائرهِ ١٩ سنتمترًا واكبرها يزن ٨٤٠ كيلوغراماً وقطر دائرهِ متر و١٢ سنتمترًا . وهذه الاجراس تقرع كل هنيهةٍ من الزمان قرعاً موقعاً على لحن من الالحان فتشنف باصواتها الآذان

ولكني لما دخلت قصر المعادن والتعدين من البوابة العظيمة التي تلي برج ايفل في "شان دومارس" واجلت طرفي فيهِ طولاً وعرضاً مسافة ٩٦ مترًا في ٧٦ لم اكد اصدّق ما تراهُ عيناي في طبقتهِ السفلى من الدور والغرف والحجلات والمقاصير والصوامع والقباب والبوابات والارتاج والابواب والصفاح والعَمَد والسمك والدعائم والاقواس والقناطر وكلها من من الحديد والفولاذ والنحاس مزينة ومزخرفة بما يعجز القلم عن وصفهِ من المصنوعات المعدنية . فان الفرنسويين اقاموا بوابة عظيمة من القطع الحديدية في مدخل القصر وزينوها بالمراجل (الازانات) والصفائح الفولاذية . دخلت تحتها فاذا انا بمرأى من اعمدة عالية قائمة بعضها وراء بعض صدق من شبهها بغيضة كل جذوع اشجارها معادن لماعة . فصرت كيف اتجهت

فيها اجد امامي ابواباً وارتاجاً من الحديد او الفولاذ او النحاس او غيرهِ من المعادن قائمة على اعمدة واركان واساطين وانابيب غليظة ودقيقة فاقف امامها مذهولاً محتاراً لا ادري ايهما اشدُّ تأثيراً في نفسي اجمال مناظرها ام قدرة صانعيها البادية دلائلها عليها

قلت ان فصول هذا الباب ثلثة اولها ما تعلق بتخطيط المعادن ومسحها وحفرها واستخراج جواهرها وبحفر المقالع وقلع حجارتها . وذلك يشمل كل ما عُرِض من انواع الحجارة والرخام والفحم الحجري والمعادن بانواعها والتراب بانواعهِ والرمل وسائر المواد التي تلزم للصناعة في كل زمان ومكان . وكذلك الادوات والآلات التي تحفر بها الارض وتستخرج تلك المواد بها منها كآلات السبر والثقب والقطع والقلع والدق والسحق والتفريق والجمع. ولما كان تعدين معادن فرنسا ومقالعها يكسبها اكثر من ٢٨ مليون جنيه في السنة عني الفرنسويون بعرض فصول هذا الباب عناية تحمد . ولم يقتصروا على عرضها في القصر المذكور بل ان بعضهم فتح شبه منجم قرب التروكاديرو وركب فيهِ العدد والآلات حتى يرى الناظرون كيف تستخرج بها المعادن . وحفر آخرون شبه مناجم للفحم الحجري والحديد والذهب والملح تحت التروكاديرو ايضاً فيرى النازل اليها كيف تكون طبقات هذه الجواهر وصخورها وكيف يستخرجها المعدنون من مناجمها . وقد منعني ضيق وقتي من رؤية هذه المناجم فاترك وصفها لمن رآها . على اني رأيت في قصر المعادن والتعدين امثلةً لمناجم الفحم الحجري وسائر ما يستعمل فيها لاستخراج الفحم منها وقيل لي ان رؤيتها تغني عن رؤية ما سواها

وقد تفنن اصحاب المقالع في عرض حجارتهم فقطعوها على اشكال شتى وصقلوا ما يصقل منها وتركوا غيرهُ بلا صقل وصفُّوها او بنوها على اشكال غاية في الجمال في اماكن متعددة ليراها الناس ويعرفوا قيمتها وقد رأيت من جملة المعروض منها احجاراً كبيرة يزن الحجر منها من ٢٠ الى ٣٠ الف كيلو قطعها اهل نروج من مقالعهم وارسلوها الى المعرض ترويجاً لبضاعتهم وقد قطع اصحاب معادن الملح (الجبلي) القطع الهائلة الكبرى منهُ وعرضوها في هذا المعرض . وعرضت النمسا معبداً او مذبحاً مصنوعاً كلهُ من الملح بمبانيهِ ومصليهِ وهو على مثال معبد شهير فيها مصنوع من الملح وقد وصف في مقتطف هذه السنة بقلم الاديب الخواجه نجيب صروف . ومن معروضات هذا الفصل ايضاً ادوات حفر الآبار الارتوازية وآلات تهوية المعادن ومصابيح الامانة التي يستنير بها المعدّنون وآلات استخراج زيت البترول والغاز والاسفلت والقار والكهرباء وزيوت البترول ومن جملتها زيت غير مكرَّر تمزجهُ شركة اميركية (تسمى جالينا أُويل كمباني) باكسيد الزئبق وتبيعهُ لتزييت الآلات وعدد السكك الحديدية فاقبلت عليهِ السكك الحديدية

الاميركية اقبالاً عظيماً لمارأتهُ من مزاياه'. وقد عرضت هذه الشركة زيتها في جنان فنسان قرب مركبات النقل التي صنعها الاميركيون لمصلحة السكة الحديد المصرية وعرضوها هناك وولت ادارة معرضها حضرة الاديب لويس افندي بدوز فجعلت شركات السكك الحديدية الفرنسوية تبتاع زيتها لعددها وقطاراتها ولذلك رأيت ان انبه مصلحة السكك الحديدية المصرية وسائر شركات السكك الحديدية في القطر المصري الى هذا الزيت لعلها تجد فيهِ منفعة لها

ومن معروضات هذا الفصل ايضاً اللغوم والديناميت لنسف الصخور وقد عرضت في محل واسع يسير الانسان فيهِ وعيناه' تنظران الى الديناميت وقدماه' تسرعان للخروج فراراً من شرهِ. وقد ابدع معدنو المجر في ما عرضوه' اشارة الى الديناميت ونسفهِ فانهم بنوا حائطاً من اقراص الفحم وقطع من حجارة الحديد وصنعوا تمثال معدِّن يوقد الفتيل وتمثال امرأة خارخة من بين قطع الفحم والحديد اشارة الى انفجار الديناميت . وعرضوا وراء هذا الحائط ما عندهم من الحجارة والفلزات ومن جملتها حجر ذهب قيمتهُ نحو ١٥٠٠ جنيه وحجر شمس (او بال) قيمتهُ نحو الف جنيه . واقاموا بجانب ذلك رتاجاً مصنوعاً كلهُ من ادوات وقطع صغيرة صقيلة من الفولاذ تعد بالالوف ومن مسامير صغيرة كثيرة مصفوفة ومجموعة على شكل التروس فيقف امامها كل مارّ بها لرؤية محاسنها

والفصل الثاني من فصول هذا الباب يختص بصناعة المعادن الكبرى فيشمل كل المصنوعات الضخمة الكبيرة من معروضاتها كالاعمدة والاساطين والقباب والارتاج والابواب الهائلة التي اشرت اليها آنفاً والآلات والادوات التي تصنع بها كالاتاتين التي تصهر المعادن فيها والمنافخ والاكيار وادوات صنع الفولاذ والآلات التي يشكَّل بها الحديد صبًّا ودقًّا وسحباً بجميع اشكالهِ كالاطارات والقضبان وصفائح البوارج وصفائح البناء والحديد المجعَّد والمحاور والدواليب وحدائد البنادق والمدافع والقنابل والانابيب على اختلاف اشكالها الى غير ذلك من مصنوعات الحديد. وقس على آلات صناعة الحديد آلات صناعة النحاس وغيرها من المعادن. وقد بلغت المصنوعات الضخمة من المعادن غاية في الضخامة فالمجر عرضت مقدَّم سفينة كلهُ قطعة واحدة من الحديد افرغ في قالب واحد دفعة واحدة وعرضت قالبهُ بجانبهِ . وعرضت ايطاليا قطعاً عظيمة من صفائح الحديد الثي تدرَّع بها البوارج طول بعضها ١٤ متراً وعلوه' متران و ٨ سنتمترات وثخانتهُ ٢ ١/٢ سنتمتر وقد افرغت كل قطعة منها دفعة واحدة وعرضت صفائح من الحديد جربت عليها قنابل المدافع فعلم مقدار مقاومتها لها من اثر غرزها فيها . على ان اضخم واعظم ما عرض من هذا القبيل عرض مع مدافع شنيدر في المحل الخاص بمعروضات كروزو وسيذكر في بابهِ. وعرض

الفرنسويون صفائح من الفولاذ للابواب طولها ٩٦ مترًا وقد افرغت دفعة واحدة . وخطوطًا حديدية طولها ٥٢ مترًا قطعة واحدة وخطوطًا اخرى ملوية ومفتولة طولها ٢٠ مترًا قطعة واحدة . وقس على ذلك الاساطين العظيمة والانابيب الواسعة الطويلة. وعرض صناع البلجيك دولاب فراش قطرهُ سبعة امتار وقد صُبَّ كلهُ صبة واحدة . وعرض الروس والفرنسويون مراسي السفن الضخمة ودواليبها العظيمة الى غير ذلك مما يطول ذكرهُ و يتعذر وصفهُ

واما فصل صناعة المعادن الصغرى فيشمل معروضات ستين صناعة ونيف كالدبابيس والابر والمسامير وارياش الكتابة المعدنية والازرار على انواعها وسواعد العوينات واللوالب باشكالها والملاعق والآلات القاطعة بجميع انواعها ونعال الدواب والبقر . وقد رأيت محلاً اميركيًّا يعرض نعالاً للخيل من الكاوتشوك ويقول انها اصلح من نعال الحديد كثيرًا وأحفظ للحوافر منها وربما ارسل منها الى القطر المصري اعتمادًا على مزاياها . وشريط الحديد الشائك الذي يتخذ سياجًا وجميع انواع الشريط وشباك الحديد والسلاسل والزناجير (الكساتك) التي تصنع الآن صنعًا ميكانيكيًّا محضًا بلا لحام . وكل الامتعة والآنية التي تصنع من المعادن وتستعمل في المنازل والجنائن وغيرها وخزائن الحديد التي يحفظ فيها المال وغرف الحديد التي توضع خزائن المال فيها فتقيها من الحريق ويكون لها اقفال سرية لا يعلمها غير اصحابها وهي من احدث المخترعات . وابواب الحديد التي تتسع وتضيق حسب مراد صاحبها الى غير ذلك مما لا يأخذهُ عدٌّ ولا يحيط بهِ احصاءٌ ويصنع كثير منهُ امام الناظرين

وماذا اقول عن معروضات البلدان الاجنبية والرتاج البديع الذي عرضتهُ الولايات المتحدة من البرونز وجعلت اعمدتهُ من الرخام والبزفير وعتبهُ من حبال الحديد ومصراعيهِ من صفاح الحديد وزينتهُ من اعلاهُ بأكر النحاس الخالص وعرضت وراءهُ معادنها . او القصر الذي صنعتهُ روسيا من الحديد وعرضت فيهِ معروضاتها الجميلة . ومعرض البلجيك العظيم والكور الذي عرضتهُ المجر وجعلت دخانهُ شرائط مشتبكة وملتفة من الحديد والقصدير والفولاذ والنحاس"

وقد دخلتُ المنجم الذي لم يدخلهُ الدكتور نمر فنزلت اليهِ بغرفة تنزل وتصعد وسيرها بطيءٌ ولكنَّ من فيها يظن انها سائرة بهِ بسرعة فائقة وانهُ قطع مئات من الامتار وهو لم يقطع الاَّ امتارًا قليلة وذلك بحيلة انتبه لها ابني قبلي وهي انهم جعلوا احد جوانب هذه الغرفة زجاجًا ووضعوا على جانب البئر التي امامها درجًا طويلاً صوَّروا عليهِ طبقات الارض حتى اذا اخذت الغرفة تنزل اخذ الدرج يصعد فتضاف سرعتها الى سرعتهِ فاذا كانت سرعتها مترين في الثانية وسرعتهُ خمسة امتار ظنَّ من فيها انهُ نزل بسرعة سبعة امتار لكي يحسب المنجم عميقًا

كما تكون المناجم عادة وهي حيلة لطيفة ولو خدعت الرائي . وطفنا في المنجم فرأينا اماكن اقتلاع الفحم الحجري والحديد والملح كما تكون في مناجمها عادة وتماثيل المعدّنين وادواتهم ووسائل الحفر والنسف والنقل والنزح والانارة والتهوية وكلها من أحدث ما استنبطوهُ واكثرهِ اتقاناً . وقد قصدوا بذلك كلهِ محاكاة الطبيعة حتى كأَنَّ من يشاهد هذا المنجم الصناعي قد شاهد المناجم الحقيقية والمعدّنين يعملون فيها. واسرعتُ من هناك الى حيث مُثّلت مناجم الذهب في الترنسفال وكليفورنيا باميركا . وقد ابدع ممثلو مناجم كليفورنيا فصنعوا لها امثلة صغيرة من المعدّنين والمركبات والطلمبات والروافع والخوافض وجداراً يمثل منجماً كبيراً قطع من اعلاهُ الى اسفلهِ لكي يظهر باطنهُ كلهُ ورسموا فيهِ مطحنة تطحن حجارة الصوان التي يشوبها الذهب ونقّالة تنقل المركبات التي فيها حجارة المعدن من جهة الى اخرى حتى تصل الى المطحنة. والمخازن التي يخزن فيها البارود ونحوهُ والطلمبات التي ينزح بها الماء من اسافل المناجم . والبيوت التي يأكل فيها المعدّنون والعروق التي يكون الذهب منتشراً فيها وقد وقف المعدنون امامها او تحتها يقتلعون الحجارة الذهبية منها بمعاولهم او يثقبون الارض بالمثاقب لاكتشاف عروق جديدة او لنسف الصخور . وكل ما في هذا المثال من الرجال والآلات والادوات يتحرك بقوة الكهربائية كأَنهُ في منجم حقيقي فيرى المرء بنظرة واحدة ما لا يراهُ في المنجم الحقيقي الاَّ اذا قضى فيهِ ساعات كثيرة . والمُثُل صغيرة جداً كما تقدَّم ولكن اذا امعن المرء نظرهُ في حركاتها ذهب عنهُ تقدير حجمها فحسب انها كبيرة وانهُ يراها عن بُعْد فتظهر كذلك لشدَّة انطباقها على الحقيقة . وخرجت من هذا المنجم وانا اودُّ ان ادخل منجماً مثلهُ في القطر المصري حيث مناجم الذهب القديمة التي كان المصريون الاقدمون والبطالسة من بعدهم يستخرجون منها ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات في السنة كما اوضحهُ الاستاذ سايس حديثاً

ومما التفتُّ اليهِ بنوع خاص من معروضات فرنسا في هذا الباب الحجارة الكريمة لارى اختلاف اشكالها والوانها وانطباقها على ما كتبتهُ عنها في فصول متوالية موضوعها الجواهر واقوال العرب فيها فرأيت الماس على ما يعلم من شكلهِ ولونهِ وتألقهِ والياقوت الاحمر والصفير او الياقوت الاسمانجوني وهو ازرق سماوي ولازوردي ونيلي وكحلي وسلقي . والبلخش (السبينال) وهو احمر مغلوق الى الاسود . والزمرد ومنهُ ذبابي مغلوق اللون وريحاني مفتوحهُ وسلقي وصابوني. والياقوت الاصفر (توباز) وهو ذهبي اللون او بنفسجيهُ . والبجادي وهو احمر كالياقوت . والزيرقون وهو اخضر واصفر واحمر. والترمالين وهو اخضر ووردي واصفر مغلوق . والفيناكيت وهو ابيض شفاف متألّق كالماس . وعين الهر وهو مصفر ومخضر مخطط . والبلور وهو كالماس

لونًا وبريقًا . والكوارتس الروباسي وهو كالثلج الملون بالوان بديعة مبلور من الداخل وردي اللون واحمر وابيض واخضر ورمادي وبنفسجي واصفر . وحجر القمر وهو كالاوبال . وحجر لابرادور وهو كعرق اللؤلؤ الضارب الى الزرقة والخضرة . وعين النمر وهو ضارب الى الصفرة وفيهِ بقعة مستديرة تمتد منها اشعَّة تحيط بها . والخلكدوني وهو اصفر كهرماني واخضر فيروزي واحمر ورمادي ومعرَّق . والعقيق وهو احمر مغلوق ومفتوح الى الاصفر ووردي وابيض. والجزع او السليماني وهو احمر واخضر مغلوق . والسردونكس وهو طبقة بيضاء تحتها طبقة محمرَّة او مزرقة. واليشم وهو اخضر مغلوق او فيهِ شامات حمراء الى غير ذلك مما تعذَّرت عليَّ رؤيتهُ

وبالغت فرنسا في ما عرضتهُ من انابيب النحاس والصلب وانابيب المدافع فطول بعض انابيب النحاس عشرة امتار وقطرهُ ٧٠ سنتيمترًا وثقلهُ ٢١٠٠ كيلو متر وطول انبوب آخر ١٠ امتار و ٥ مليمترات وقطرهُ ٧٠ سنتيمترًا وثقلهُ ٢٢٥٠ كيلو غرامًا . وهناك حجر واحد من الحديد المعدني ثقلهُ ٤٥٠٠ كيلو غرام. وكثير من المصنوعات القديمة كالاقفال والمناشير والبياكير والابواب الحديدية ومنها قفل من القرن الخامس عشر ومزلاج من القرن الثاني عشر. وصناديق واجراس قديمة جدًّا. وكل ما يصنع من المعادن بالسبك والتطريق كالكؤُوس والملاعق والقدور وما اشبه . وقطعة من مدفع صلْب (فولاذ) سمك حديدها ٣٠ سنتمترًا ونصف سنتيمتر وثقلها ٢٥ طنًّا وثقل الانبوب الذي قطعت ٦٦ طنًّا ولوح حديد سمكهُ نحو ٤٠ سنتيمترًا وقد دخلت فيهِ قنبلة وغارت نحو ٣٠ سنتمترًا

واشتركت الدول المختلفة في معروضات هذا الباب كما تقدَّم . ومما استوقف نظري بنوع خاص معروضات الولايات المتحدة الاميركية واليابان ونروج. اما الولايات المتحدة فعرضت رسم استخراج الذهب في كليفورنيا وقد اشرتُ اليهِ سابقًا وما لا يقدر من الحجارة المعدنية وزُبَر الحديد والنحاس وغيرهما من المعادن ومن ذلك لوح من الصلْب قطرهُ ثلاثة امتار و١٢ سنتمترًا وسمكهُ سنتيمتر ومتانتهُ تفوق الوصف فانهُ يحتمل من الضغط ما يساوي ٦٢٢٦٠ رطلاً على كل عقدة مربعة. والحجارة الكريمة من محل تفني الجوهري وبينها كثير من حجارة الياقوت من وادي كوي بولاية كرولنيا الشمالية . وكثير من الخشب الذي تحجَّر وصار جزعًا اي انحلت دقائقهُ الخشبية رويدًا رويدًا وحلَّت محلها دقائق من السلكا وتلوَّنت بالاكاسيد المعدنية وهي مثل الاشجار المتحجرة شرقي القاهرة لكن الاميركيين اعتنوا بقطعها صفائح رقيقة مستديرة وجلوها حتى صارت صقيلة كالزجاج يبيعون القطعة منها بمئة ريال او اكثر

ومما يستوقف النظر ايضًا شذور الذهب الكبيرة التي وجدت في تلك البلاد فان بعضها

كبير صقيل كالجوز او اكبر وبعضها منخرب كالاسفنج ومن ذلك شذرة فيها من الذهب ما يساوي ٣٧٢٠ ريالاً . والشذور الصغيرة كثيرة جداً وهناك صندوق مملوء بوريقات التبر . وحجارة معادن الذهب كثيرة الانواع والاشكال يظهر الذهب في بعضها ولا يظهر منهُ شيء في البعض الآخر . ومن الذهب اشكال متبلورة كسعوف النخل المتوالية او كالحبوب المنظومة

ولا يسعني المقام لوصف معروضات الفضة والحديد والفحم الحجري وزيت البترول ونحو ذلك مما يكثر استخراجهُ من الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان . ولا لوصف الخرائط التي رسمت لمناجمها فانها كثيرة جدًّا بين معروضات الدول ومستعمراتها كأنَّ شركات استخراج المعادن ترمي مما تجشمتهُ من النفقات في ما عرضتهُ الى غرض تجاري غير الافادة وغير المباهاة وهو ترغيب الناس في ابتياع اسهمها ليغلو ثمنها فيعود ذلك عليها بالربح. وجارت اليابانُ الممالك الاوربية الكبرى في ما عرضتهُ من معادنها ومصنوعاتها المعدنية فعرضت مجموعة كبيرة شاملة كل ما عُرِف حتى الآن من معادنها وهي كثيرة تشمل الذهب والفضة والبلاتين والحديد والنحاس والكبريت والمنغنيس والرصاص والانتيمون والزيبق والحجارة الكريمة على انواعها وقد نالت هذه المجموعة الجائزة الكبرى . وعرضت كثيرًا من الخرائط الجيولوجية والمعدنية اظهارًا لكثرة الفلزات في ارضها وتنوُّع بلاطها ومرمرها واخذت نشان الذهب على ما عرضتهُ من الكبريت وعلى ما عرضتهُ من الفحم الحجري وهو ممثل القوة الصناعية كما لا يخفى فاذا وُفِقت بلاد الى كثرتهِ فيها وعرفت كيف تستخرجهُ وتستعملهُ كُفِل لها النجاح والارتقاء

ومن البلدان الاوربية الصغيرة التي ابدعت في ما عرضتهُ في هذا الباب بلاد نروج فانها عرضت انواع رخامها ومرمرها ومنها نوع اسود كالسبج فيهِ قطع صغيرة تتألق بالوان مختلفة كعنق الحمام وقد عرضت منهُ عمودين كبيرين وصفائح كثيرة منهُ ومن غيرهِ وعرضت ايضًا انواع معادنها ومنها سبائك كبيرة من الفضة طول السبيكة منها نصف متر وعرضها نحو ١٥ سنتيمترًا وشذور الفضة الطبيعية وهي كاسلاك الدمقس المفتَّل

اما الآلات التي تصنع بها الادوات المعدنية الصغيرة كالملاعق والاقلام والحلى والازرار فحدّث عن سرعتها واتقانها ولا حرج لكنها لا تغني عن العمال ولا عمل هذه المصنوعات خالٍ من كل مشقة فقد رأيت زر النحاس الذي يباع بغرش او اقل يمرُّ على عمَّال كثيرين وآلاتٍ مختلفة قبلما يتمُّ عملهُ ويهذَّب ويذهَّب ويصقل . ولولا كثرة المصنوعات ورواج التجارة ما استطاع الاوربيون ان يرخصوا بضائعهم الى هذا الحد فاذا اردنا مجاراتهم في الصناعة وجب ان نقتصر على ما يكثر رواجهُ في بلادنا او نفتح اسواقًا لمصنوعاتنا حتى نناظر بها البلدان الصناعية

وصف مصر

للعالم العامل صاحب السماحة السيد توفيق البكري نظمها وهو في الاستانة العلية

أديارَ ميٍّ تنظرُ   فدموعُ عينكَ تمطرُ
أَم أَبرَق العلمين أَم   سفحَ اللوى تتذكرُ
أَم تامَ قلبَكَ جُؤذرٌ   أَحْوى المدامعِ أَحورُ
أَم هبَّ من مصر صباً   ام طارَ برقٌ أشقرُ
أَم قد ذكرت بطاحها   وهي البساطُ الاخضرُ
والنيلُ في لباتها   عِقدٌ يلوحُ مجوْهرُ
والجوُّ صحوٌ مشرقٌ   وكأَنما هو ممطرُ
والظلُّ من خَلل الشمو   س مدرهمٌ ومُدَنرُ
فكأَنهُ جلدٌ من النـ   ـمرِ المرَقشِ ينشَرُ
وغُصونُها لُدْنٌ تميـ   ـدُ بما تقلُّ وتثمرُ
فكأَنهنَّ ولائدٌ   في حَليها تتبخترُ
هي نسجُ وشيٍ نيلها   فيهِ الطرازُ الاحمرُ
هيَ مثلُ لوحٍ صوَّرا الـ   ـفردوسَ فيهِ مُصوّرُ
يا جنةً يُجنى الجنى   فيها ويجري الكوثرُ
أَنا شاعرٌ في وصفها   لكنها هيَ أَشعرُ
جِسمي هنا والقلبُ في   مِصرٍ يغيبُ ويحضرُ
يا سائرَ الفلاك المسخـ   ـرِ في خضارة يمخرُ(١)
إِقرَ التحية جيرةً   حيثُ الكثيبُ الاعفرُ
فالنيلُ فالهرمانِ من   غربيهِ فالازهرُ
فالروضة الغنّاءُ والـ   ـمقياسُ فيها يشبرُ

فالقصر قصر الملاكِ والـ   أَوهامُ عنهُ تقصرُ
فيهِ المقاصيرُ التي   الواحهُنَّ المرمرُ
حيطانُها الذَّهبُ الصقيـ   ـلُ وارضهُنَّ العنبرُ
قد صوَّر التاريخ في   ارجائهنَّ مصوّرُ
فترَى الوقائع منظراً   وكأَنما هي مخبرُ
والجندُ تخطر في الحديـ   ـدِ فدارعون وحسرُ(٢)
والخيلُ بين عجاجها   تخفى وحيناً تظهرُ
وتظنُّ احياءً بهِ   فتمسُّ كيما تخبَرُ
قد حلّهُ العباس ينـ   ـهى في الانامِ ويأمرُ
فكأَنهُ عرّيسةٌ(٣)   وبهِ المليكُ غضنفرُ
ملكٌ بضوْءِ جبينهِ   تسقى البلادُ وتمطرُ
السيّدُ المحضُ العلي   والجوهرُ المتخيرُ
العـدلُ مما ينشرُ   والمجدُ مما يذخرُ
خلق حوى كل الفضا   ئل فهيَ عنهُ تؤثرُ
جودوَ بأس في الورى   بهما يخصُّ ويشهرُ
مثلُ الصواعق والحيا   في مزنـةٍ تتحدرُ
ثمَّ الجزيرةُ تستبيـ   ـك بها اوانس(٤) نفرُ
عجلاتها فلكٌ بأَشـ   ـباه النجومِ يدوّرُ
من كل خركاة بحسـ(٥)   ـناءٍ تضئُ وتقمرُ
فكأَنها المشكاةُ والـ   ـمصبَاحُ فيها يزهرُ

---

(١) خضارة علم البحر . ومخرت السفينة اي جرت تشق الماء (٢) دارعون اي عليهم الدروع . وحسر اي لا مغافر لهم ولا دروع (٣) العرّيسة بيت الاسد (٤) الآنسة الطيبة النفس والجمع اوانس (٥) الخركاة مركبة للنساء في المواكب وقد استعملت في الكتب القديمة قال المقريزي ان الملك الناصر مُحمَّد بن قلاوون لما اراد التزوج بواحدة من ذرية جنكيزخان وخطبت لهُ طولباي فلما وصلت من بلاد التتار الى مصر حملت في خركاة من الذهب على عجل وجرها المماليك الى دار السلطنة

فالجيزة الخضراءُ يع بق رَنْدُها والعبهرُ(٦)
فيها النعامة والحبا رَى والمها والقسورُ
كسفين نوح أَخرجت ما كان فيها يضمرُ(٧)
فيها الغصون على الارا ئك تلتوي فتشجرُ
وجداولٌ كسبائكٍ بسنى الاصيل تعصفرُ
ماءٌ كبلّوْرٍ يذو بُ وأدْمعٍ تتقطرُ
يرْوَى القطا الكدريُّ منهُ وينتحيهِ الجؤذرُ
في حافتيهِ الورد والن سرينُ والنيلوفرُ
وعليهِ من نسج الصبا درعٌ هناك ومغفرُ
فالقصر وهو لمن مضى من أهلِ مصرٍ مقبرُ
نشرت بهِ امواتهمْ فكأنَّما هو محشرُ
رمسيس أين مطارف ال ديباج أين الجوهرُ
أين السرير وأين تا ج الملاكِ أين العسكرُ
نمْ في رقادٍ ليس في أحلامهِ ما يذعرُ
فالموت نومٌ اكبرُ والنومُ موتٌ أصغرُ
دنيا تشابهُ ملعباً والليلُ سترٌ يسترُ
والفصل يضحك والثريّا الشمس فيهِ تنوّرُ
جندٌ هناك وسوقةٌ ومتوَّجٌ ومسخرُ
فاذا طرحتَ ثيابهُمْ ساوَى الأعزَّ الأحقرُ
فالأزهرُ الزاهي يدوْ وِي بالعلوم ويجأرُ
كدَوِيِّ نحلٍ وهو يج دع شهدهُ أو يذخرُ
فالازبكية حيث تُط وَى بالعشيِّ وتنشرُ
وتبيت تُسجع في الدجى ورْقاؤُها والمزهرُ
والبركةُ النجلاءُ في فضفاضها تتمرمرُ
ماءٌ كعين الديكِ ين ظمُ بالنجوم وينثرُ

وترَى ضياءَ البدرِ في هِ كمثلِ عينٍ تفجرُ
واذا تلوح الشمس في لألائهِ أو تسفرُ
ألفيتهُ المرآةَ وال حسناءُ فيها تنظرُ
فالقلعةُ العلياءُ تج لَى للعيان وتبصرُ
بمآذنٍ كالحقِّ لا جنفٌ ولا متأطرُ(٨)
قطرٌ تمصَّرَ بالورى والارض برٌّ أقفرُ
وَطن الغريبِ ودارهُ وقبيلُهُ والمعشَرُ
ملكٌ محيط الارض يص غرُ عن مداهُ ويكبرُ
في كلِّ صرحٍ مخبرٌ وبكلِّ سفحٍ منظرُ
ولكلِّ لبنةٍ غرفةٍ فيهِ حديثٌ يذكرُ
فرعونَ والأنهارُ تج ري واللوا والمنبرُ
ذهبوا فامسوا مثل رؤ يا في المنام يعبَّرُ
هرمانِ فيهِ كشاهدي نِ شهادةً لا تنكرُ
وهيا كلٌ دثرت وذك رُ حديثها لا يدثرُ
والمجدُ مثلُ الخمرِ يك رمُ ما توالَى الاعصرُ
كانت سلاطينُ الورى فيهِ تشيدُ وتعمرُ
والغرب من اعمالهِ والقبلتانِ وتدمرُ
والخيلُ خيلُ الله تر كب والصوائف تنصرُ
وفرنجة ومليكها تغزَى بمصرَ وتؤسرُ
هذي مناقبُ مصر تر وَى في الانامِ وتسطرُ
ولسوف يرجع ما مضى ويعود ذاك المفخرُ
وكذا الزمان يدور وال قدرُ المغيَّبُ محورُ
والبدر إن وافى السرا رَ فبعدَ ذلك يبدِرُ(٩)
والعودُ ييبس برهةً فإذاهُ عودٌ أخضرُ
عباس أنت لها وأن ت لنا العميدُ الاكبرُ

---

(٦) الرند والعبهر نبتان طيبا الرائحة (٧) سفين نوح حمل فيها من كل حيوان زوجين (٨) يريد كالحق في الاستقامة . والجنف الميل . والتاطر الانثناء (٩) السرار آخر الشهر . و يبدر اي يطلع بدرا

الغيريَّة

بقلم جناب فارس افندى الخوري

نعني بالغيرية كلَّ عملٍ من طبعهِ جرُّ المنافع او درْء المفاسد عن الغير . وهنا يتوجه منا السؤَال فيما اذا كانت الغيرية مطلباً من مطالب العمران او مقوّماً من مقومات الاجتماع وهل الانسان مطالَب بنفع غيرهِ او هو قوَّام على نفسهِ فقط لا يأْتي عملاً الاَّ اذا كانت مغبَّتهُ لنفع ذاتهِ وثبات قدمهِ في حيّز التنازع . وفي الجواب عن ذلك نقول :

لو اعتبرنا اعمال الاحياء الظاهرة بقطع النظر عن المقاصد والمحرّكات الكامنة وراء تلك الاعمال والباعثة اليها نجد ان الغيرية تلعب دوراً جليلاً في تمثيل رواية الوجود الحيّ وذلك الدور يبتدئ منذ انبلاج شفق الحياة وهي تقوم بالانانية كما ان الانانية لا تقوم الاَّ بها

بما ان كل حيّ من جميع الصفوف يهتمُّ بحفظ حياتهِ في الدرجة الاولى وبحفظ نوعهِ في الدرجة الثانية وبما ان السُّنة التي تجري الاحياء عليها لبلوغ هذه الأُمنية هي واحدة لجميعها يستحسن الآن ان لا نقيّد بحثنا في الانسان فقط بل نطلقهُ على الحيوانات لنتناول الادلة والامثلة من جميعها على اختلاف طبقاتها وتباين رتبها . وهذه خطة جرى عليها علماء الطبيعة في هذا القرن ان يرجعوا الى البسائط عند بحثهم عن المركبات سواءٌ كان البحث في المادَّة والاعضاء او في الحركات والافعال خصوصاً عند تحقيقهم مبادئ الانسان وطباعهُ ذهاباً الى ان قواهُ منسلخة عن قوى الحيوان ومنتزعة منها وان جميع الطباع والاخلاق التي فيهِ موجودة في الحيوانات السافلة بكميَّات تنقص مع هبوط درجة الحيوان في سلم الارتقاء الى ان تصير في ادنى درجاتهِ قليلة صغيرة بحيث يكاد لا يشعر بها . وقوى الانسان تختلف عن قوى الحيوان بالكمية وليس بالكيفية وهذه القوى تكون في درجاتها الاولى بسيطة طبيعية لم يعتورها تغيير ولا تكييف ومنها يتطرقون الى ما تشعَّب تركيبهُ وتفرَّعت اعضاؤُهُ وكل ذلك وسيلة الى بلوغ الحقيقة التي هي محجتهم المقصودة وضالتهم المنشودة

الحيوان بطبعهِ ميَّال الى الخلود طامع بان تبقى لهُ حياتهُ ما دامت الارض والسماء. وكل حاجة للغذاء او تأَثرٍ طبيعيّ بحرّ او برد او اقتحامٍ من حيوان آخر او أيّ فاعلٍ يعمل على اضعاف قوتهِ وايقاف حركة الحياة فيهِ مكروهٌ عندهُ سواءٌ كان الحيوان ذا عقلٍ وارادةٍ او ذا طبيعةٍ وسليقة ولذلك تراهُ يعمل كلَّ ما في وسعهِ ويبذل الجهد المستطاع ليتخلص من الاخطار ويفرّ من المنية فهو اذن يحاول اول كلّ شيء ان يحافظ على حياتهِ بالتجانف عما يجعل

حبلها قصيرًا والاقدام على ما يمدُّ فيها عمرًا طويلاً . ولا شيء اكفل لتنويل هذه الغاية من الاقتصاد بالقوَّة التي يحرزها الحيوان وصرفها حيث تثوب اليهِ وينتفع بها. وكل عملٍ يبديهِ لهذه الغاية لتمهيد سبل الحياة امامهُ وتطويل المدَّة التي يعيش فيها هو مندرج ضمن الانانية ويُعدُّ من قبيل ايثار النفس

اذا قلبت حجرًا صغيرًا على ظهر دمنة وكان تحتهُ جماعة من الاجياز او الخنافس تجد تلك الحشرات تضطرب وتنزعج عند رفع الغطاء عنها وتعريضها للفواعل الطبيعية فتذعر وتهيم على وجوهها الى كل الجهات وواحدها يهمُّ مسرعًا لا يلوي على شيء الى ان يجد لنفسهِ موطنًا جديدًا وحرزًا امينًا تحت حجرٍ او في ثقبٍ من ثقوب الارض فيعتصم فيهِ ليقيهُ ما يمكن ان يقتحمهُ من الشرور والآفات . واذا كان وراءهُ رفقة واشتد عليهِ الخطر لا يعود يكترث لامرها بل لا يشغلهُ الاَّ ان ينجو بنفسهِ كما فعل الحرث بن هشام في وقعة بدر فانهُ

ترك الاحبة ان يقاتل عنهمُ   ونجا برأس طمرَّةٍ ولجامِ

الاَّ ان هذا الحذر والتوقي لا يغني عن الفرد شيئًا فالكريات الحيوية التي يقوم بها استقلالهُ في قيد الوجود والشعور لها أَجَلٌ تبلغهُ وحدٌّ تقف عندهُ لا تستطيع بعدهُ الاستمرار في النمو والنشاط فيحل بالفرد الفساد ويقف فيهِ عمل الحياة رغمًا عن فرارهِ من الموت وتجافيهِ عن دعاوي الهلاك كما قال الشاعر

يوشك مَن فرَّ من منيتهِ   في بعض فرَّاتهِ يصادفها

اوكما قال الآخر

فمن لم يمت في اليوم لا بد انهُ   سيعلقهُ حبل المنية في الغدِ

فهو اذن عاجز مهما بذل من الوسائل واستعد من الحبائل عن ان يستأخر اجلهُ الى الابد ومن ثم يعود فيقنع ببقاء نوعهِ وتركهِ في الارض ذريةً من شكلهِ يدوم بها النوع محفوظًا

وكما ان الفرد الحي يبذل من قوتهِ للمحافظة على نفسهِ وابعاد الموت عنها كذلك هو حري ان يبذل من قوتهِ مقدارًا كافيًا لاجل المحافظة على نوعهِ. وهذا الامر واقع ومرعي الاجراء في جميع طبقات الحيوان من ان كل فردٍ يدفع من قوتهِ جزءًا غير قليل لاجل اقامة النسل اولاً في عمل التوليد وثانيًا في تربية الصغار . فان كان التوليد بالانقسام كما هي الحال في الانفيوزوريا وغيرها من فصيلة البروتوزوى يكون الحيوان قد خسر وجودهُ مستقلاً بعدما يتجزأ ويصير منهُ عشرات او مئات من جنسهِ ويموت اكثرها اوكلها بفقدان حاجاتها الى الحياة . واذا كان التوليد بالمزاوجة كما هي الحالة في ما فوق تلك من الفصائل يكون الحيوان قد اعطى جزءًا من

جسدهِ ليتكون منهُ النسل وهذا الجزءِ هو بعض قوتهِ التي يملكها بحق الاكتساب . وفي فصيلة الحشرات بعد ان تتمَّ الحشرة عمل التوليد وتضع بيوضها بمكان أمن تنقضي حياتها وتستأسر الى الفناء كأنها لم تعش الاَّ لتقوم بهذا الواجب وتحيي لنفسها ذكرًا يخلد الى الذرية فمتى اتمت عمل التناسل تموت غير مأسوفٍ عليها

ولما كان سير الحركات الحيوية في الفصائل الانفة الذكر طبيعيًّا انفعاليًّا اصبح فيها ما يجيز القول بضعف الاستقراء اذ انهُ لا دليل على ان افعال هاتيك الحيوانات السافلة مقرونة بالعقل والارادة او انهُ يصحبها شيءٌ من القصد بل ان عدم التنويع في معيشتها يسوق الى القول انها مسيَّرةٌ في هذا السنن مضطرَّة الى تتبع تلك الخطة وهي لا تعي معنى ما تفعل فلنعبر عنها الى ما هو اعلى منها تاركين امر الغيرية في التناسل والتوليد اذ لا يُرتاب في ان الحيوان يبذل من جسمهِ قسمًا ولو صغيرًا يكون منهُ جرثومة او جنين لقيام النسل

جميع ذوات الثدي تهتمُّ بشان صغارها وتنقب في الارض باذلةً جزءًا كبيرًا من قوتها في التفتيش عن غذاءٍ تنمو بهِ تلك الصغار . والطيور تحمل الطعام وتقطع بهِ المسافات البعيدة لتزقَّ فراخها بهِ ولعلها تكون في حاجةٍ شديدة اليهِ . وكل ذوات الفقرات تظهر عليها علائم الاضطراب وتنبيءُ حركاتها بشدَّة الانزعاج الذي يأخذها عندما ترى صغارها في حالة الخطر اما في الانسان فالحقيقة اوضح من ان تجلى او تبسط وما يتجشمهُ الآباءُ والامهات من المشاق لتربية اولادهم والحرص على رفاههم يزيد على نصف اعمال البشر

كل هذه الاعمال التي يقوم بها الحيوان الاعجم بطبعهِ والحيوان الناطق بطبعهِ وعقلهِ معًا حبًّا باقامة النسل وحفظ النوع تقتضيهِ ان يبذل في سبيل غيرهِ من القوة التي كان يذخرها لمنفعة نفسهِ . وكلما زادت مقدرة الحيوان على خدمة نفسهِ تزداد مقدرتهُ على خدمة نسلهِ وتزداد اهليتهُ للتوليد وتربية الصغار وكلما ضعف عن خدمة نفسهِ ضعف عن خدمة ولدهِ ومن ثمَّ كانت الانانية والغيرية من هذه الجهة متلازمين لا يفترقان ورفيقين لا يختصمان . وكلُّ حيوان يتطرف في ايثار نفسهِ ويضنُّ بجزءٍ من قوتهِ في التناسل والتربية يجازى بتناقص ولدهِ اولاً وبفناء نوعهِ اخيرًا وبذلك تكون الطبيعة عاملة على التخلص من كل من هو متطرف في الانانية وحبِّ الذات كما انها عاملة على التخلص من كل من هو متطرّف في الغيرية وخدمة الجنس كما اثبتنا ذلك في المقالة السابقة

ينتج مما تقدَّم ان الغيرية تصاحب الانانية بين الفرد ونسلهِ وتشتد اواخيها وتتوثق عراها كلما دنت درجة القرابة حرصًا على بقاء النوع الذي يحنُّ اليهِ ويشتاقهُ كل حيوان . والحيوان

الذي لا ينفق عليهِ ابواهُ قوة كافية في تربيتهِ يشبّ ضعيفاً عاجزًا فلا ينفق هو في تربية ولدهِ الاَّ مثل المقدار الذي انفقهُ ابواهُ في تربيتهِ او اقل منهُ . وهذا الحفيد يكون بالولادة اضعف من ابيهِ لان اباهُ اضعف من جدهِ وهكذا يبقى معدل القوة آخذًا بالتناقص الى ان يتلاشى النوع . وبالعكس اذا اورث الفرد ابنهُ قوى شديدة وجهزهُ باعضاء كثيرة تشدُّ يدهُ في عمل الحياة فالابن اذ ذاك يورث ولدهُ مثل الذي ورثهُ من ابيهِ او اكثر منهُ وبها ترتقي سعادة المجتمع ويحسن حال الافراد

ان الغيرية تكون اولاً بين افراد العائلة الواحدة ثم تنتشر وتمتد بازدياد العلائق المدنية الى ان تصير بين العشائر ثم بين الفصائل ثم بين الافخاذ ثم بين البطون فبين العمائر فبين القبائل فبين الشعوب وهذا الامتداد لا يتمّ ولا يكون وثيق العرى الاَّ اذا كان العمران مسيَّرًا على قواعد تصلح لانتشار الغيرية وتمالئ عقل الانسان على تفشي الميل الى خدمة الجنس . فان كانت الشرائع الادبية والدينية التي يخضع لها القبيل تمسك افرادهُ بربط الاتحاد والاخاء والحرية والمساواة وكانت مواثيق المزاوجة متينة العقد والحب بين الزوجين شديدًا لم يشبهُ امر الضرار والمنازعات بين العصبيات قليلة ونظام الاعمال يُرصن بالعدل كانت اواخيّ الغيرية والميل لخدمة الجنس على اشدها والعكس بالعكس . وانت ترى اليوم ان الغيرية لا تقتصر على كونها في بيت واحد بين الاب وابنهِ بل تجاوزت هذا الحد وصارت تضمُّ كل الذين تجمعهم جامعة واحدة لمصلحة يستنجرها احد الطرفين بحسن حال الآخر . كل البلاد المتمدنة تتأثر بسوءٍ في تجارتها عند ما تشب حرب بين امتين . واذا امحلت كورة يخسر كل من لهُ علاقة مع سكانها وهذا يظهر ان المصلحة المدنية عاملة على تعميم الغيرية بين الشعوب كلها

من هذا المقام نتدرج لاظهار المغانم التي يجرها المرءُ لنفسهِ والمغارم التي يدفعها عنها اذا كان في امة ينفق كلٌّ من افرادها شيئًا من قواهُ في اصلاح غيرهِ واجتذابهِ الى محجَّة الصواب. ولننظر اولاً في المنافع التي تنعكس على الافراد اذا كان العدل سائدًا في الامة والتعدي والظلم ممنوعين على اعضائها . اذا كان الناس بدل ان يتفرقوا تحت كل كوكب قد اجتمعوا لاجل الحماية ومآرب اخرى يجب ان يكون الربح الذي يجنيهِ كل فردٍ من الاجتماع اكثر من الخسارة التي يتحملها بهِ وغُنْمهُ بالائتلاف اوفر من غرمهِ بزحامهِ مع مواطنيهِ . وتلك الزيادة من اللذة الشخصية لا تتوفر الاَّ بغيرية تجعل الفرد يعترف بحقوق الغير عليهِ مختارًا او مكرهًا. فان كان مكرهًا على هذا الاعتراف بما يتخوف من العقاب او الانتقام تكون منافع الاجتماع قليلة واذا كان اعترافهُ بها اختياريًّا اي اقرب الى الغيرية وعرف كل حقوق غيرهِ فاداها بدون تقاضٍ

تبلغ فوائد الاجتماع مبلغاً جليلاً . وحيث لا وازع يزع القوي عن الضعيف كما هي الحال بين بعض قبائل اوستراليا حيث ينازل الرجل غيرهُ لاجل احراز المرأة وحيث ينازل نساءُ الرجل الواحد بعضهنّ بعضاً بالشفار والعصي لتستأثر الغالبة بهِ ما دامت متغلبة لا يستطيع الفرد ان يتمتع بلذات حياتهِ لان الحزازات الداخلية والعداوات الاهلية تجعلهُ دائماً حذراً وجلاً على نفسهِ فيصرف قسماً من قواهُ بالخوف وقسماً آخر باخذ الاهبة والاستعداد للدفاع اذا دعت الحاجة ناهيك ما يحصل من التشويش في حركة الاعمال عند ما يفقد الامن على الدم والمال. وكلما كثر خصوم المرءِ والطامعون بما عندهُ ساءَت حالهُ لان اولئك الذين يضمرون لهُ الشرَّ يتربصون بهِ الدوائر وينتظرون فيهِ الفرص ليوقعوا بهِ ويأخذوا ما في يدهِ من المال والمتاع وبذلك يلزمونهُ ان لا يخرج من منزلهِ الاَّ شاكي السلاح خفوق القلب

ولا يكتفي المجتمع من الفرد بان يراهُ قائماً بالقسط وحدهُ بل يطالبهُ بان يجعل اصحابهُ وذويهِ ومن هم في حيزهِ يجرون على العدل في معاملاتهم لان احجام الكثيرين عن تأدية الحقوق يمنع الفرد ان يتمتع بنتيجة اتعابهِ ويجعل تلك النتيجة مشكوكاً ببلوغها . ومثل ذلك قل عند ما يعتاد الناس اخلاف المواعد والتملص من عقال الروابط في المساومات اذ كلما قلت امانة المشتري يرتفع ثمن السلعة وكلما نقصت الثقة بالمديون علا معدل الربا . وهذه وامثالها من النتائج المضرّة التي تترتب على غش المتعاملين واسترسالهم الى هضم الحقوق تعود علي راحة المجتمع بالاقلاق وعلى بنيهِ بالخطر والازعاج وتظهر ان اللذة الشخصية التي يرجوها الفرد في حياتهِ المدنية تتعلق على اهتمامهِ بامر الغير واجتهادهِ بان يصلح فاسدهم ويقوم مائلهم . ولا يليق بنا ان نتخطى هذه الفقرة المختصة بالعدل قبل ان نذكر شيئاً عن اختلال الادارة في القوة الحاكمة وما لذلك من اليد الطولى في تشويش اعمال الافراد وانتزاع راحة العباد فالرجل الذي يزعم انهُ لا يتحرّش لاولياء الحل والعقد ولا يتتبع حركاتهم للتصحيح او للتجريح بل يقوم على شغلهِ الخاصّ ويتركهم في طغيانهم يعمهون — من يزعم ذلك قد غاب عنهُ ان شغلهُ لا يستقيم امرهُ الاَّ باستقامة امر اولئك ولا يأمن علي سلعهِ وديونهِ وبنيهِ وعقارهِ وحياتهِ الاَّ اذا كان في دولةٍ مسيَّجة بالعدل وقائمة على الحق

اما اذا كان يجلس علي كراسي الحكم قوم لاخلاق لهم همهم استنباط الحيل لابتزاز اموال الناس بالرشى والاغتصاب يفسدون في الارض ويقولون انما نحن مصلحون لا يصلون الى مناصبهم الاَّ بتزلفهم الدنيء او ببذل المال او بقرابتهم لاحد الحاظين عند الملك . يتربعون في دست السيادة فيملأُونهُ شحماً ولحماً وفوق الشحم واللحم رؤُوس عشَّش فيها الجهل فانتج اوهاماً

وشروراً . اذا كان امثال هؤلاء يتولون امر الامة دبَّ في عروقها الفساد واسرع اليها الفناء. اذاً على الفرد من هذه الجهة اولاً ان يكون هو نفسهُ عادلاً قوَّاماً بالقسط ثانياً ان يكون داعياً الى العدل والاستقامة ثالثاً ان يساعد القوة الحاكمة في اجراء العدل ويبذل مهما استطاع ليستأصل شأفة الظلم وينقي البلاد من كل عاطل معطل وفاسد مفسد. وهو ان فعل ذلك حقيق بان يتمتع براحة واقبال ويرتع في العيش الخُضال

ان رفاه الفرد لا يقوم بانتشار العدل فقط بين مساكنيهِ والمحافظة على تأدية الحقوق وسلامة الحياة بل ان الصحة الوطنية لها اثرٌ شديد على انبساط عيشهِ وحسن حالهِ

اذا سمينا المشتغلين في سبيل استثمار الارض وصناعة السلع موجدين والذين يأكلون الاثمار ويُخلقون السلع منفقين يكون كل افراد الامة منفقين والفريق الاعظم موجدين . وبديهيٌّ ان كمية الاشياء التي يوجدها الموجدون توزع بين كل افراد الامة للانفاق . وكلما زادت تلك الكمية زادت الحصة التي تصيب كل واحدٍ من المنفقين وزيادتها تتوقف على امرين عدد الموجدين وقدرتهم على الايجاد . اذاً كلما زاد عدد الاقوياء الذين يستطيعون العمل وزادت مهارتهم في طرق الايجاد وقوتهم على الاكثار منهُ تزيد حصة الفرد من المنفقين. ولا يزداد عدد الموجدين الاَّ اذا قلَّ الضعفاء الذين في بنيتهم نقص فطريٌّ او طارئٌ يمنعهم استطاعة العمل في وظيفة يكون منها نفع لتكثير حاصلات البلاد. وكلما زاد عدد هؤلاء العجزة قل عدد الموجدين ومقدار الخيرات وبالنتيجة قلت الحصة التي تصيب الفرد الواحد لانهم عيال على المجتمع يأكلون ولا يشتغلون . اذن يجب على كل فردٍ ان يعمل ما استطاع ليقلل عدد هذه العالة لا قتلاً ولا اهمالاً بل بمداواتهم وتخفيف ويلاتهم وبالاهتمام باولادهم كي لا يشبُّوا مثلهم حملاً باهظاً لكاهل الانسانية وهم اذا تُركوا لانفسهم يزوجون ويتزوَّجون بدون عناية وتهذيب ينمو عددهم ويكثر سوادهم حتى يملأُوا الشوارع ويقطعوا الطرق على المارَّة ممدودي الايدي وهم يجأرون بالدعاء الى الله ليدر عليهم صدقات المحسنين ولذلك تراهم في البلاد التي لا تصلح الحكومة فيها شأنهم اكثر عدداً وابين تفشياً مما هم في غيرها فلا تخلو منهم منعطفات الطرق وجوانب الجوادّ واذا عثروا على رجلٍ في قلبهِ شفقةٌ عليهم لا يفرجون عنهُ حتى يصير مثلهم . وليس العجزة فقط ينفقون ولا يوجدون بل لهم شركاءُ لا يمكن اصلاحهم واليهم اشار شلي (Shelley) الشاعر الانكليزي في قصيدةٍ نعربها هنا مثالاً من الشعر الافرنجي في باب الحماسة والاستنفار قال

يا رجال انكلترا على مَ تحرثون للشرفاء الذين يمتهنونكم والى مَ تحوكون الحلل الفاخرة

ليلبسها المستأثرون بامركم ؟

على مَ تطعمونهم وتكسونهم وتحرسونهم من المهد الى اللحد وهم اشبه بذكور النحل لا يعرفون لكم فضلاً بل يستنزفون عرقكم و يشربون دماءكم ؟

الى مَ يا رجال انكلترا الامناء تطبعون السيوف وترهفون الحراب وتجيدون صنع الاسلحة ليستعين بها اولئك الخاملون الضعفاء على اغتصاب ما تكسبون بشق النفس ؟

اهو الرخاء ام العزاء ام الاطمئنان ام المأوى ام الطعام ام عصير الحب العطر او ما هو الذي تشرونهُ بهذه الاثمان الغوالي بآلامكم وبخوفكم ؟ تزرعون وغيركم يحصد توجدون وغيركم يدخر تنسجون وغيركم يلبس تصقلون وغيركم ينتضي

ازرعوا البزور ولا تدعوا المستبدين يجنون ثمارها . اوجدوا الثروة ولا تدعوا الماكرين يحشدونها. انسجوا الحلل ولا تدعوا الكسالى يلبسونها. اطبعوا السيوف وانتضوها للذود عن حوضكم

انفروا الى اكواخكم واوكاركم وكهوفكم فالقصور الباذخة التي تشيدونها يتنعم فيها غيركم. لماذا تخوّفون بالاغلال التي صنعتم وبالشفار التي صقلتم ؟

بمعاولكم خطّوا رموسكم وبآلات بنائكم عمروا قبوركم وعلى انوالكم انسجوا اكفانكم حتى تضمكم ترب انكلترا وتفنوا غير ماسوف عليكم . آه

ثم وان كان ضعف العجزة القعديين واعتمادهم على غيرهم في تجهيز حاجاتهم ناتجًا عن خلل في اجسامهم او انحطاطٍ ببنيتهم او خمولٍ في عقولهم وزيادة عددهم تؤثر في كل فردٍ سوءًا بتراكمهم في دور العجزة والمستشفيات الاهلية وبازدحامهم في مفارق الطرق وعلى الابواب وان كان ذلك الضرر بيّنًا واضحًا الاَّ ان الضرر الذي يتلقاهُ الفرد باختلال امر الصحة الاهلية اوضح مما هو في تلك . فاذا كانت الاجسام ضعافًا والبنيات ضعيفة ووفد على الامة احد الامراض المعدية كالحمى التيفوئيدية او الهيضة او الطاعون او الجدري او الخناق تكون هذه الامراض سريعة التفشي بينهم وذريعة الفتك فيهم ولا يأمن ذلك الفرد ان يوقع بهِ المرض وهو يختطف جيرانهُ الواحد بعد الواحد وان سلم هو من بطشهِ فقد لا تسلم امرأتهُ او ابنهُ او ابنتهُ او خادمهُ او احد زُبُنهِ في المعاملة . وفي كل الاحوال يكون تشويش الصحة العامة عائدًا عليهِ بالمضرَّة فهو اذا بذل جزءًا من قوتهِ المالية في تنظيف الاغرفة وتنقية الهواء ومداواة المصابين المحاويج وتغذيتهم وتقوية اجسامهم ليتغلبوا على الامراض وينجوا من الادواء اذا نزلت بهم يكون بذلك خادمًا نفسهُ باذلاً المال في سبيل مصلحتهِ الشخصية وجرّ السعادة والراحة الى ذاتهِ

وليس الامر باقلّ خطارةً في قوى الامة العاقلة فدرجة العقول العامة من الارتقاء ومنزلتها

من التهذيب والتثقيف لها يدٌ طويلة في تكييف حالة الفرد وتعيين مقدار سعادتهِ ونضارة عيشهِ. فان كان الجهل فاشياً في الامة يكون نظام التعليم قاصرًا ودوائر التلقين مختلة فلا يتمكن الفرد من تعليم اولادهِ والراجح انهم يشبون جهلاء اغمارًا مثل مواطنيهم الملتفين عليهم . واذا استأجر صانعًا يصنع لهُ سلعة او استبضع السلعة من السوق تكون تلك السلعة ناقصة الشروط رديئة الصنعة غير كافلةٍ لهُ كفاف الحاجة . واذا استخدم جاريةً تصلح لهُ شؤُون بيتهِ وكانت الخوادم في بلدهِ قصار العقول عاريات عن المعرفة لا يأْمن اذا خرج في الظلام مارًّا في بهو الدار او في الدهليز او في المطبخ ان يطأَ صحون الطعام او يدوس في ماعون الطبخ او يعثر بدلو الماء فيخرُّ على وجههِ ويسيل الدم من انفهِ . واذا جاء بطاهٍ واقترح عليهِ طعاماً يطبخهُ لهُ وكان الطاهي جاهلاً فالرجل عرضة لأَن يصاب بسوء الهضم او مضطرٌّ الى ان يترك الطعام المطبوخ لرداءتهِ ويأْكل من حواضر البيت . وقس على هذه غيرها من جميع الحاجات التي يلتزم فيها الفرد الى التماس المساعدة من الناس . واذا كانت وسائل الايجاد غير مرتقية وعقول الامة مقيمة على التقليد لا قبَل لها في التوليد وتحسين الطرق الصناعية تكون السلع قليلة المنفعة كثيرة النفقات غالية الاثمان . فمن ذلك ترى ان قصر عقول افراد الامة وانحصار افكارهم في دائرة ضيقة وقلة معارفهم بطبائع المادة وخواصّ الاجسام تجعلهم عاجزين عن اتقان وظائفهم قاصرين في مطالب صنائعهم وهذا العجز والقصور ينعكس ضررهُ على كل فردٍ من افراد الامة ويحصد عامتهم منهُ نكودًا تجعل العيش مرًّا والحياة جحيماً . فيستخرج من ذلك ان الفرد اذا ارخص في ترقية درجة العقل العام ونشر مبادىء العلوم التي تفيد الناس في اعمالهم يكون لهُ من ذلك نتيجة حسنة تجعل عيشهُ طيباً وحياتهُ نعيماً وذلك يكون بمساعدة المدارس وتنشيط الجرائد النافعة ومجلَّة العلماء ومدّ اندية العلم ودور المطالعة بالاسعاف وحث الناس على الاقبال عليها والاسترشاد بنورها

اما الفوائد الناجمة لكل عضوٍ من اعضاء المجتمع عن حسن المبادىء الادبية المنتشرة في الامة فليست اقل اهمية مما تقدم اذ ان الصدق وبراءة الذمة في المعاملات وعادة الاخلاص في الود والامانة في الاعمال واتباع صوت الضمير الصالح وحسن ذات النفس وصفاء النيات والسرائر توجب طمأْنينة المرء وارتياحهُ الى صدق العلائق المدنية وثقتهُ بصحة ما ينقل اليهِ من الاخبار ويعرض لهُ من التقارير في ضروب المعاملات . ويكفيهِ عبء تعقب الحوادث التي تمسُّ مصلحتهُ ليعرف صحيحها من فاسدها ويميز بين صادقها وكاذبها . ولكن اذا كان الضمير العام موسوماً وآداب القوم فاسدة وعقارب الكذب والمكر والغش والفسق والاختلاس

دائبة بينهم يبقى الفرد وقواه منصرفة الى توقي الشرّ وعيناه محدقتان يلتفت يمنةً ويسرةً ويتمنى لو له عيون في ظهره لئلاً يفاجئه شرُّ الناس على حين غرّة . واذا اشترى سلعةً ينقد ثمنها وقلبه يخفق ويده ترتجف فيحمل السلعة الى منزله ويحشد عليها رجال الحي من اهل الخبرة لاجل اعطاء القرار في ما اذا كان مغبونًا بالثمن فان وجد انهُ اشتراها بقيمتها ابرقت اسرتهُ وطار فرحًا وحسب الصفقة نصرًا عظيماً وفتحاً مبيناً واحتفظ بالسلعة علامة للظفر واذا كان قد اشتراها حريرًا فاذا هي كتان او ذهبًا فاذا هي نحاس يصفق صفقة المغبون ويقرع سنّ النادم ويسوء عيشهُ بعدها اياماً كثيرة بل يزيد ذلك في حذره وتوقيه ويوطن النفس على انهُ لا يصدق بعد اليوم بائعًا مهما اغلظ الاقسام واحرج الأَيمان . ولا يخفى ما لاستفحال المبادىء الرديئة بين الناس من سوء العاقبة والتدرج الى ارباك حركة التجارة وعرقلة ايدي الصناعة فترتفع اسعار السلع وتقل متانة الادوات ويعلو معدل الربا ويبقى الناس لاهمّ لهم الاّ اختراع الوسائل ليوقعوا بعضهم ببعض ابتداء وانتقاماً وتنتشر بينهم العداوات وتتأصل في صدورهم الحزازات وتفقد المروءة والشهامة ويضيع حق الوفاء بين الطمع والحذر والغدر والخيانة

فالفرد اذا ضحى جزءًا من قواهُ المالية والادبية لاجل اصلاح آداب العامة والنزوع بالناس الى معارج الحق والفضيلة ترجع اليهِ قوتهُ المبذولة بفائدةٍ ينعم بها بالهُ ويستقيم شأنهُ وحالهُ . وذلك يقوم اولاً بان يكون هو مثالاً صالحاً وقبساً نيرًا يعشو المدلجون الى ضوء نارهِ وينسج المتمثلون حلة الادب والفضل على منوالهِ بان يصلح ذات نفسهِ فلا يغشّ في المعاملات ولا يكذب في الحديث ولا يشتهي ما في يد الغير ليعمل على استلابهِ ولا يمالىء في عمل وضميرهُ يشعرهُ بان ذلك العمل يشوه وجه الآداب ويحط من قدر الفضيلة . ثانياً بان يجتهد في تربية اولادهِ واصلاح الفاسد من بيتهِ وتقويم منآد اصدقائهِ ومن لهم معهُ علاقة مادية او ادبية ويتجانف على الجلوس في مجالس الاستهزاء والمهاترة الاّ لغاية النصح والارشاد وان يعمل على نشر المبادىء القويمة ليعمّ الصلاح وتتوثق الفضيلة في النفوس وهو اذا فعل ذلك جديرٌ بان يصبح في امة تتنعم في الفردوس قبل عبور الصراط ومستحق ان يحيا خلياً من الاذى ذا حظ موفور وعرضٍ صين

وفي غير ما تقدم نرى ان حالات الناس تمسُّ مصلحة الفرد بحس المشاركة وهو شعور الانسان مع غيرهِ في الحزن والفرح . وبالحقيقة ان المرء يطلب السعادة ليس ليسرّ نفسهُ فقط بل ليسرّ ذويهِ واحباءهُ وما احسن قول المتنبي بهذا المعنى

لمن تطلب الدنيا اذا لم تُرِدْ بها سرورَ محبٍّ او اساءة مجرمِ

وهو بطبعهِ الوف يحب الاجتماع و يصفي الود الى بعض شكولهِ ويتألم معهم اذا رآهم يتألمون فكثيرون يغمى عليهم اذا رأَوا الدم يسيل في عملية جراحية ومنهم من لا يستطيع ان ينظر الى ولدٍ يبكي او الى مريضٍ يتوجع. وقوة هذا الحس لا عمل لها الاَّ بالعلاقة مع الغير فهي غيرية محضة ومن كانت هذه القوة عظيمة فيهِ تراهُ محبوباً كثير الاصدقاء يشعر معهُ الكثيرون اذا نكب ويجد ايدياً عديدة تمدُّ لتنهضهُ اذا سقط. وقيل لبعض الحكماء ما العيش قال "اقبال الزمان وعزُّ السلطان وكثرة الاخوان". ومن الاقوال المأْثورة عن النبي العربي "المرءُ باخيهِ كثير" ولا يكثر اخوان المرءِ الاَّ اذا كان الوفاً يتوجع مع اصدقائهِ ويفرح اذا فرحوا. اما من كان قليل الاكتراث بالناس لا يهمهُ سقوطهم او نهوضهم فهو ابداً ممقوت لمن يحيط بهِ لا يجد من يشاركهُ في وقت حزنهِ او يفرح معهُ في فرحهِ. ومنها ترى ان افراح الآخرين واتراحهم تمسُّ حواسَّ الفرد راساً بتأَثرهِ معهم في شعور المشاركة. وحب الذات من هذه الجهة متعلق على حب الاغيار وتحسين حالهم ليكثر سرورهم وتزداد بهجة الفرد بهم

وفي الختام نذكر مسأَلة الاعياء وهي ان الشهوة الحسية اذا اخمدت كلما لمعت او أُوقظت وعلفت زيادة عمَّا تطلب يكون هذا قاضياً عليها بالاعياء. والعمل اذا كثر تعهدهُ يصبح عادياً وتفقد اللذة بهِ فالذي يدخل محلَّ التمثيل المرة الاولى يشعر بلذَّة عجيبة ولكن اذا اكثر الترداد اليهِ اعياهُ الملل وصار يدخلهُ كانهُ غرفة عادية. والولد الصغير يبتهج كثيراً بسماع القصص التي لم يختبر مثلها في الطبيعة ولكنهُ متى نما وكثرت معارفهُ عن احوال المادَّة والناس لا يعود يلذهُ كل ما كان يلذُّ قبلاً ولذلك قالوا لكل جديدٍ طلاوة. فاذا كان الفرد لا يهتمُّ الاَّ بتبريد شهواتهِ والاكثار من الملاذّ الشخصية يفقد اخيراً الشعور باللذة او على الاقل تهبط درجة لذاتهِ بالمطربات اما اذا كان يتلهى حيناً من الدهر عن خدمة شهواتهِ وينبعث بعواطفهِ الى خدمة الجنس يكون هذا الحين فرصة لعصبيتهِ تستجمُّ فيها قواها ويثوب اليها نشاطها فيشعر عند كفايتها بلذة لم يكن لهُ بها عهد من قبل كالذي يضع على انفهِ زهرة ذات رائحة زكية فانهُ يشعر عند انتشائها المرة الاولى بنكهة عطرة ولكنهُ اذا ابقاها على انفهِ واكثر من شمها يفقد الشعور برائحتها وهو اذا ابعدها عن خيشومهِ دقيقة من الزمان يستريح فيها عصب الشم ثم اعاد اشتمامها يعود الشعور بنكهتها كما كان. وهذه هي الحال في كل الحواس العصبية ينهكها الاكثار وتعود الى عملها بالراحة والتنويع. ان الشيوخ عند ما تضعف فيهم الشهوات الجسمية يحاولون تجديدها على طريق الغيرية فيبتهجون بان يروا اولادهم او احفادهم او سائر احبائهم يمارسون الاعمال اللاذة ويتمتعون بالعيش الطيب ولذلك تراهم في شيخوختهم ينصرفون الى عمل

الخير ومساعدتهم الناس توصلاً الى اللذة الشخصية

والخلاصة ان القول بالانانية لاينفي العمل بالغيرية فقد اتضح جليًّا ان تلك لا تقوم الأ بهذه فاذا كانت الانانية جنساً تكون الغيرية نوعاً داخلاً في ذلك الجنس لان كل عمل غيريّ فيهِ منفعة شخصية والفرد اجتمع بالناس لانهُ عاجزٌ عن العيش بدونهم وربحهُ من الاجتماع هو كما قلنا سابقاً اكثر من خساره بهِ . فالمبدأُ العام " ان تحب قريبك كنفسك " هو ركن العمران ومرجع لذة الفرد لانَ حب القريب مرجعهُ حب الذات . هذا وقد كتب علماء الافرنج مقالاتٍ ضافية في هذا الموضوع فمنهم من قال اعمل الخير لانهُ خير واتبع الحق لانهُ حق ومنهم من قال اعمل الخير لانهُ ينفعك واتبع الحق لانهُ يدلك على طرق النجاح وهؤلاء هم القائلون ان مبدأ الانتفاع مدار الاعمال والامانة خير سياسة . وقد استعنت في هذه المقالة بما كتبهُ الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي واخذت عنهُ شيئًا كثيرًا منها

الجغرافية عند المشارقة

بقلم جناب محمَّد افندي كرد علي

قضت سنة الوجود وطبائع العمران ان تنتقل العلوم من يدٍ الى أُخرى وتتناوبها امةٌ بعد امة جريًا على ناموس تنازع البقاء في جهاد هذه الدار وقضت ان يتخلَّف الشرق في الاعصر المتأَخرة عن شقيقهِ الغرب في كل شيءٍ بعد ان كان أَبا عذرة الكل وابنَ بجدة الكل تخلفًا يتوقف استبطان سرّهِ على النظر في التاريخ لتنجلي الحوادث التي ساقت الى هذه الحال والمقدمات التي اعقبت تلك النتائج

وارحمتاه على المشرق اتت عليهِ ازمانٌ بارت في خلالها بضاعة العلم فاقفلت مخازنهُ وحوانيتهُ وتداعت انابيرهُ ومستودعاتهُ وانقلب الشرقيُّ عقيب تلك الحضارة والغضارة وقد تنكرت في وجههِ معالم العلم وتخدشت ملكةٌ طالما رسخت في عقول الاجيال الغابرة الى ان بلغ انقلاب الحقائق في هذه الآونة ان فريقًا ممن نُتوقَّع منهم نُصرةُ العلوم اصبحوا ينكرون جهارًا على غير استحياءٍ تدريس علم تقويم البلدان او الجغرافية في احدى الكليات الاسلامية الشهيرة بعد ان كان لسلف هذه الامة في العصور التي يدعوها الغربيون بالمظلمة عنايةٌ بكل فن ومَطلب

كان من العرب الفلكيّ والرياضيّ والطبيعيّ والمهندس والجغرافيّ والمؤَرخ والبيانيّ الخ ولكن ايام كان علماؤهم يطرقون كل موضوع ويمارسون كل فضيلة علمًا وعملاً فيستعينون ببعض

العلوم على بعضها من غير نكير نخدموا من ثَمَّ عامة العلوم والفنون التي انتقلت اليهم من الامم القديمة واجادوا في وضع ما وضعوهُ من عنديَّاتهم وبلغ بهم الولوع باكتشاف الجديد والتفنن في ادراك المفيد ان انفق كثيرٌ منهم وُجْدَهُ لاستحضار الكيمياء واشتغل بالسحر والطلسمات على قلة الفائدة المترتبة عليها وما كان ينال مَن يخبط او يخلط من الاذى الاَّ ما كان من مناقشة الحساب والحكم في قولهِ لتلقينهِ فصل الخطاب

ولقد نشّط الخلفاء والامراء كلَّ علم فكان من امير المؤمنين المأمون أَن امر محمد بن موسى بن شاكر واخويهِ احمد والحسن بتحقيق طول خط نصف النهار لمعرفة محيط الكرة الارضية بالضبط فقاسوا احد خطوط الطول في سهل سنجار ثم اعادوا المقاس ثانياً في وطآت الكوفة فثبتت لديهم كرويةُ الارض وعرفوا محيطها . وأَن اقام مرصدين فلكيين في بلادهِ الاول بالشماسية ببغداد والثاني في جبل قاسيون بدمشق واقام عليهما جماعةً من علماء عصرهِ يرقبون الاحداث الجوية والاجرام السماوية . وأَن قال ايضاً رأَيت فيما يرى النائم كأَن رجلاً على كرسيٍّ جالساً في المجلس الذي اجلس فيهِ فتعاظمتهُ وتهيبتهُ وسأَلت عنهُ فقيل ارسطوطاليس فقلتُ اسأَلهُ عن شيءٍ فسأَلتهُ فقلتُ ما الحسن قال ما استحسنتهُ العقول فقلتُ ثم ماذا قال ما استحسنتهُ الشريعة قلت ثم ماذا قال ما استحسنهُ الجمهور قلت ثم ماذا قال ثم لا ثم . وكان ذلك على ما يقال من آكد الاسباب في إِخراج الكتب الفلسفية والطبية والرياضية والطبيعية من اللغات الاعجمية الى اللسان العربيّ فبذل القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لرجال المجمع العلميّ المؤلف من ثلثمائة عالم حتى انهُ كان يعطي حُنين ابن اسحق وحدهُ من الذهب زنةَ ما ينقلهُ من الكتب مثْلاً بمثل

وعلم الجغرافية ايضاً حاز نصيباً من خدمة العرب فما كانوا يفتحون كورةً ولا قطراً ولا ينزلون كفراً ولا قفراً ولا يستعمرون بلداً ولا مصراً الاَّ ويُعنى قوادهم باخذ المصوَّرات الجغرافية (الخرائط) استبقاءً للنجح او استيفاءً لشروط الفتح . وما كانوا يُدَوّخون الامصار سقياً ورعياً وهم راكبون متن عمياء ومستسلمون للاقدار على علاتها . ذكر المؤرخون ان قتيبة بن مسلم لما اتاهُ سنة تسع وثمانين للهجرة كتابُ الحجاج بن يوسف يأْمرهُ بقصد "وردان خذاه" عبر النهر من "زم" فلقيَ "الصغدَ" واهل "كش" و"نسف" في طريق المفازة فقاتلوهُ فظفر بهم ومضى الى "بخارى" فنزل "خرقانة السفلى" عن يمين وردان فلقوهُ في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملكُ بخارى فلم يظفر بشيءٍ فرجع الى "مرو" فكتب الى الحجاج يخبرهُ فكتب اليهِ الحجاج ان صوّرها فبعث اليهِ بصورتها فكتب اليهِ

الحجاج ان تُبْ الى الله جل ثناؤُه مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا وكتب اليهِ ان كس بكش وانْسُف نسَفَ وردْ وردان واياك والتحويط ودعني من ثنيَّات الطريق. فعمل قتيبة بما امرهُ وافتتح البلد الذي كان تعصَّى عليهِ من قبل

هذه كانت العنايةُ باخذ المصوَّرات الجغرافية في الصدر الاول فما بالُك بعد ان استبحر العمران واتسعت مناحي الحضارة . وفي قيام اولئك الملاحين المدعوين بالمغرورين واقلاعهم من مدينة لشبونة في اقصى غربي اوربا بغية الوصول الى ما وراء بحر الظلمات من الاقطار الغربية وبعبارة اجلي لاكتشاف الجزائر الاميركية قبل قيام كولمبس باجيال وفي البعثات والحملات التي سيَّرها الخلفاء الى القاصية كبعثة الواثق العباسي لاكتشاف سواحل بحر الخزر وبعثة المقتدر بالله عام ٣٠٩ ﻫ الى البلغار للدعوة للاسلامية فيها واخذ احد اعضاء البعثة احمد بن فضلان معلومات مفيدة عن بلادهم وبلاد الروس وفي الحملة التي وصلت الى عاصمة الصين بعد فتح كاشغر سنة ست وتسعين للهجرة لدعوة الصين الى الاسلام وفي عشرات من امثال تلك الحملات اكبر دليل على تبريز العرب في مضامير الاكتشاف وارتياحهم لتجشم المصاعب من اجل افتتاح بقعة او ارتياد نُجعة . وما إخال التواريخ الشرقية والغربية على اختلاف لهجاتها ونزعاتها تضنُّ علينا بامثلة تبرهن على صحة هذه الدعوى

سار عن طريق القسطنطينية ايامَ حرب الصليب ملكُ فرنسا وعاهل انكلترا وامبراطور المانيا والنمسا بجيوش جاشت بالفرسان والرماة والمشاة لنجدة المستصرخين من اهل النصرانية في بيت المقدس وإحباط مساعي نور الدين زنكي صاحب مصر والشام وكان ملكُ الروم وهو اذ ذاك الشاب عمانوئيل بن الملك اليكسيوس الاول يخاف بادرتهم على ملكهِ فيما اذا انقلبوا ظافرين من حملتهم على فلسطين فاخذ يتربَّص بهم الدوائر لاهلاك جندهم فامر بخلط الدقيق المطحون وغشهُ بالكلس الابيض ليباع من الصليبيين وضرب نقوداً زائفةً تشبه الذهب والفضة وكان يتملق الصليبيين بعهودهِ ومواثيقهِ في الظاهر ويرسل سرًّا الى ملك قونية من آل سلجوق يحرضهُ عليهم مبيناً لهُ نيَّات الصليبيين وانهم قادمون لاخذ باقي البلاد من المسلمين

ولما عزم كونراد امبراطور المانيا والنمسا على المسير في جيشهِ ومن صحبهُ من اهل الصليب استصحب من يدلهُ على الطريق في بلاد آسيا فسار الروم امامهم في جبال وعرة وتنكبوا بهم عن الجادَّة حتى اذا نفدت ازوادهم فرَّ الروم وتركوا الفرنجة قرب جبل طوروس فساروا بعد ثلاثة ايام بحالة يرثى لها وعندها طلعت عليهم العساكر الاسلامية فاستحرَّ القتال بين الفريقين فانهزم ملك الالمان والنمساويين وبقيةٌ من جندهِ ومَن سلم من الصليبيين الى مدينة نيقية

حيث قابلوا ملك فرنسا وبعد ذلك خاطر هذا الملك بجيشهِ فاجتاز شعاب جبل قدموس وجبالاً اخر مخوفة سموها جبال اللعنة واذ ذاك طلع عليهم ايضاً قسمٌ من جند السلجوقيين وقتلوهم فاندحرت عساكر الفرنسيس وركن لويس السابع الى الفرار مع من أفلت من ايدي المسلمين فانتهى بهم امدُ السير الى مدينة انطاليا وبعد مفاوضات طويلة مع واليها وكان رومياً تابعاً لملك القسطنطينية امرلهم بمراكب تقلهم الى انطاكية ولما لم تستوعبهم كلهم انقسموا الى شطرين بري وبحري وانضم الملك الى الشطر الاخير وبذل خمسين وزنة من الفضة لوالي تلك المدينة على ان يوصل العساكر المسافرة برًّا الى طرسوس فلم يرسل احداً يدلهم على الطريق السهل فضلوا ايضاً كما ضلَّ اخوانهم من الانكليز والالمان والنمساويين على نحو ما ذكر في تواريخ الصليبيين وكم فيها من حوادث تنهض دليلاً على جهلهم اذ ذاك

وذكر ابن خلدون في رحلتهِ من مصر الى الشام لما غزاها تيمورلنك التتري [1] عام ٨٠٢ هجرية انهُ لما اجتمع بهِ للمرة الاولى سألهُ تيمورلنك اين بلدك فقال ابن خلدون بالمغرب الجواني فقال وما معنى الجواني في وصف المغرب فقلت هو في عرف خطابهم معناهُ الداخليّ اي الابعد لان المغرب كلهُ على ساحل البحر الشامي من جنوبهِ فالاقرب الى هنا برقة وافريقية والمغرب الاوسط تلمسان وبلاد زناتة والاقصى فاس ومرَّاكش وهو معنى الجواني فقال لي واين مكان طنجة من ملك المغرب فقلت في الزاوية التي بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق وهو خليج البحر الشامي فقال وسبتة فقلت على مسافة يوم من طنجة على ساحل الزقاق ومنها التعدية الى الاندلس لقرب مسافتهِ لان هناك نحو العشرين ميلاً فقال وسجلماسة فقلت في الحد ما بين الارياف والرمال من جهة الجنوب فقال لا يقنعني هذا واحب ان تكتب لي بلاد المغرب كلها اقاصيها وادانيها وجبالها وانهارها وقراها وامصارها فقلت لهُ يحصل ذلك بسعادتك وكتبت لهُ بعد انصرافي من المجلس ما طلب من ذلك واوعيتُ الغرض فيهِ في مختصر وجيز يكون في ثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع الى ان قال: واقمت في كسر البيت واشتغلت بما طلب مني في وصف بلاد المغرب فكتبتهُ في ايام قليلة ودفعتهُ اليهِ فاخذهُ من يدي وامر موقّعهُ بترجمتهِ الى اللسان المغلي الى آخرهِ

---

[1] قرات هذه القصة في رسالة خطية ذكر فيها ابن خلدون رحلتهُ الى الشام واجتماعاتهِ ومباحثاتهِ مع تيمور وهي منقولة بقلم احد اصدقائي عن رسالة قديمة كتبت بخط محمد بن احمد الزملكاني الانصاري من تلامذة ابن خلدون قال انهُ نقلها من تاريخ استاذهِ الكبير الموضوع في خزانة الكتب بالمؤيدية داخل باب زويلة بالقاهرة في مستهل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وهو مما يؤيد ان لابن خلدون تاريخاً مطولاً لم يعرف بعدُ وما التاريخ المنسوب اليهِ الآن الا فهرس تاريخيّ ليس الا

هكذا كان الفرق بين المشرق والمغرب – ملوك اوربا يضلهم الروم في بر الاناضول لجهلهم وجهل رجالهم بالجغرافية وابن خلدون يكتب في غربتهِ وكربتهِ ثنتي عشرة كرَّاسًا في وصف المغرب في هنيهة من الزمن مع فقد اسباب التاليف واناسٌ في هذا الزمان يبلغ بهم انحطاط المدارك ان ينكروا تعلم الجغرافية وغيرها من العلوم التي هي سبب ارتقاء اوربا واميركا كالطبيعيات والرياضيات . و ياليتهم على الاقل يراجعون باب العشر والخراج في مطولات الفقه ليعلموا ما بينهُ وبين الجغرافية من التعلق بل و ياليتهم يدرون ان معرفة سمت القبلة التي هي من اهم مسائل العبادة عند المسلمين تتوقف علي الجغرافية

ولا مراء انهُ فات هؤُلاء الجماعة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ حين فتح الله البلاد على العرب من العراق والشام ومصر وغيرها كتب الى حكيم من حكماء عصرهِ يقول إِنا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوأَ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن واهويتها ومساكنها وما تؤَثرهُ الترب والاهوية في سكانها فكتب اليهِ ذلك الحكيم بجغرافيتها الطبيعية . هذا كان عمل ابن الخطاب في عصرهِ فكيف نكون نحن في هذا القرن

اصبح الخاصيّ منَّا فضلاً عن العاميّ متى أُكره علي تصفح صحيفة من صحف الاخبار يتلعثم و يتأَفف ولا يعتم ان يحدد شفار مطاعنهِ بكاتبها و يرميهِ بالجهل المركب في معرفة السبك والربط وعدم الاجادة في انتقاء الالفاظ العربية الصحيحة وما دعاهُ الى هذا التجهيل الفاضح بل الجهل الواضح الاَّ ورود اسماء بعض البلدان والممالك اثناء العبارة ما طرقت مسامع صاحبنا من ذي قبل حال كون صغار اولاد السوقة من الفرنجة اليوم يحفظون من اسماء الامصار ما لا ينطق بهِ معظم خاصتنا عمرهم . وكبار الامراء في الشرق قلما يعرفون حدود بلادهم وعملهم ولا يحفظون اسماء البلدان التي ولاَّهم مولاهم رقاب عبادهِ فيها

و ياليت ابن خردادبه وابن واضح والجيهاني وابن خلدون وابن الفقيه وابا زيد البلخيّ وابا اسحاق الاصطخري وابن حوقل وابا عبد الله البشاري والحسن بن محمد المهلبي وابن ابي عون البغدادي وابا عبيد البكري والقزوينيّ و ياقوت الحمويّ والمقدسيّ وابا الحسن الهرويّ والادريسي وابا الفداء وابا العباس السرخسيّ والمسعوديّ والمراكشيّ والباكوريّ وابا القاسم الشيرازي وازرى الاسفرايني والمقريزيّ والاصمعيّ والشكوني والحسن بن احمد الهمذانيّ وابا الاشعث الكنديّ وابا سعيد السيرافيّ وابا محمد الاسود الغندجانيّ وابا زياد الكلابيّ ومحمد بن ابي حفصه وهشام بن الكلبيّ وابا القاسم الزمخشري وابا الحسن العمراني وابا عبيد البكري الاندلسي وابا بكر محمد بن موسى الحازميّ وابا الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري

و برهان الدين ابرهيم البقاعي وابا الفتح محمد الهمذاني وابن الجوداني وعلي بن محمد الخوارزمي ومحمد بن اياس الحنفي وابا المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي وابا الفضل البقالي الخوارزمي وابا عمر محمد الكندي وابا عبد الله محمد القضاعي والظاهري وابا الحسن احمد الاشعري وابن بطوطه وابن سعيد وابن جبير وابن حبيب وابن رشيد وابن الصلاح وابا القاسم التجيبي والغزي والسيوطي والكناني ومحمد بن رشيد وعشرات غيرهم من رجال الجغرافية ممن ساحوا فافادوا وصنفوا فاجادوا وخلفوا لنا من وصف المسالك والممالك ما يبيض وجوه ازمانهم يا ليتهم ينشرون اليوم من اجداثهم لترى عيونهم ما حلَّ من الجهالة في بلاد انشأت امثالهم و يشاهدوها كيف اقفرت حتى من رجل يحسن رسم مصوَّر جغرافيّ لبلدهِ بحيث اخذ الناشئة من ابناء هذه الاقطار ينتظرون ما يتكرم بهِ عليهم الغربيون ويختطونهُ و يصفونهُ كأنَّ صاحب الدار ليس هو الاعلم بما فيها ولكن هي الامور اذا استقلَّ بها من لا يحسن الاضطلاع ولا يعرف الكاع من الباع

كان علماء الحديث في الاسلام من اشدّ الناس عناية بالجغرافية لتمييز النسب الى البلدان والفرق بين الرجال ومساقط رؤُوسهم ومنابت اسلاتهم وهذا هو السبب الذي من اجلهِ عني اكثر ارباب المعاجم العربية بذكر اسماء الامصار. والقرى ولعمري ما قول المعترضين على تدريس هذا الفن اذا سألهم سائل عن المواطن التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز كديار اقوام الانبياء لوط وهود وصالح وشعيب وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم وعن المواطن التي ورد ذكرها في احاديث الرسول واخبارهِ اذ لا يجهل احدٌ انهُ عليهِ الصلاة والسلام بعث بكتب عدة الى معاصريهِ من ملوك الامم وحكامها ككسرى الفرس وقيصر الروم ومقوقس مصر ونجاشي الحبشة وملك البحرين وامثالهم وعن مواطن غزواتهِ . ويا ليت شعري بماذا يجيبون اذا سألناهم عن موضع سد مأرب وعن الحكمة الجغرافية من بناء ذلك السد وما هي تلك الدول التي كانت معاصرة لنبيّهم وكيف كانت احوال تلك الممالك وما مساحتها بل ما جغرافية البلاد التي قام منها العرب وعلى اي طريق سلك المهاجرة الأُوَل من مكة الى الحبشة. وهل الجغرافية الاَّ عبارة عن تعليم احوال الممالك والطرق التي كان للعرب الصحابة فمن دونهم النصيب الاوفر من معرفتها سيما مجاوريهم من الامم فقد كان قريش يدأبون في السفر من مكة الى بلاد الفرس فبلاد اليمن فبلاد الشام فبلاد الروم وهكذا سما نظرُهم بعد الاسلام لافتتاح تلك البلاد التي كانوا يعرفونها ايام إتجارهم وقد نجحوا بما رُزقوا من مضاء العزائم بعد ان كانوا درسوا احوال هذه البلاد العمرانية واخلاق مجتمعاتها واصول ادارتها وتبطنوا ما فيها من المسالك والمناهج

والمداخل والمخارج اي انهم بحثوا عنها بحثًا سياسيًا وعسكريًّا . فكانوا اذا فتحوا مصرًا عرفوا ما وراءهُ والطرق المؤدية اليهِ كما انبأنا التاريخ بذلك على ان معرفة دار الاسلام من دار الحرب تتفرع عليها امور شرعية لا تتم الاَّ بذلك العلم

اما وقد عرف هذا فلم يبقَ قول يقالُ الاَّ ان الجغرافية شقيقة التاريخ موضوعها الاماكن والبلدان كما ان موضوعهُ الناس والازمان تشخص الجغرافية في مرآة قارَّة ما تحرَّكَ من الصور وترسم البقاع التي خُلقنا لنعتمرها ونكدح فيها كدحًا ترسمها لنا حافلةً بآثار الممالك الدائرة واخبار الامم البائدة البائرة . فالجغرافية اذًا تبحث في تخطيط الارض كما ان التاريخ يتقصَّى تخطيط سكانها وانت تعلم ان الارض لما كانت مأوًى عامًّا للبشر فرض عليهم التحفي في السؤال عنها فقد تقضي الحال على من يريد السكنى في ضيعة من ضياع الارياف ان يسأل عما فيها من مرافق الحياة من ينابيع وجداول ومخاوض ومغايض وطرق نهجة وجوادّ قاصدة وحقول ورياض ومباقل ومخاضر وزرع وضرع ومراعي ومروج ومجاهل ومعالم وغابات وآجام وهضاب وآكام وعامر وغامر ومخصبة ومسبخة ليتوفر على نيل ما يدفع حاجتهُ وحاجات ذويهِ ويقوم باوَدهم من غلات وثمار ولبن ومخيض وسمن وعسل . وزد على ذلك الا يحتاج بعد هذا الى تعرّف الطرق المفضية الى ما جاور بلدهُ والاسواق القريبة ليبيع فيها ما يفيض عن عوزهِ ويبتاع بثمنهِ لباسًا يقيهِ حمارَّة القيظ وصبارَّة القرّ وان يقف على الصلات التي تربطهُ مع غيرهِ من الخلائق والامصار

ومن ينكر ما يعتري المرء من الارتياح بتحديث من سافر عما شاهدهُ في حلهِ وترحالهِ من اعاجيب الآثار وغرائب الامصار وما امتع بهِ النواظر من مدهشات المناظر واختبرهُ من الاخلاق والعوائد والخصائص والفوائد فهلاَّ عني المرء بقراءة ذلك في مصنَّف صادق الرواية واسع الدراية ليسيح بفكرهِ في ساعة ما يتعذّر عليهِ تلقيهِ من افواه السياح في اعوام

هذا وقد قسم المتأخرون فن الجغرافية الى ثلاثة اقسام كبيرة وهي الجغرافية الرياضية والجغرافية الطبيعية والجغرافية السياسية. ولكل من هذه الاقسام في الغرب اليوم الوفٌ من المؤلفات والمؤلفين فالجغرافية الرياضية او الفلكية تبحث في شكل الارض وحجمها وحركتها وعن تركيب الكرات وحل المسائل وتعيين مواقع الاماكن على سطح الارض ورسم قسم منهُ على صفيحة او ورقة. وتتعلق اكثر مواضيع هذا القسم بعلم الهيئة اكثر مما تتعلق بالجغرافية . واما الجغرافية الطبيعية فتبحث عن حالة الارض الطبيعية واوصافها وتصف علاقتها بالنظام الشمسي وتوضح انقسامها الى قسمين طبيعيين عظيمين وهما الماء واليابسة وتبين ماهية الهواء

الكرويّ والحركات الكبرى لحركات التيارات الغمرية والهوائية مما يؤثر في هيئتها. ومن اخص مباحثها اشكال القارّات والبحار واقسام اليابسة والغمر وارتفاعات الجبال وسلاسلها وظواهر الصحاري والسهول والخطوط والرسوم المختلفة من اعلى قمم الجبال الى اقصى اعماق البحر . ويبحث فيها عن بنية الارض الجيولوجية وعن جميع الظواهر المتيورولوجية وعن متحصلات الارض الطبيعية من نبات وحيوان ولكنها مع اتساع موضوعها لا يلتفت فيها الى وصف افراد الظواهر والاماكن والانواع فتقتصر على إيضاح النواميس والمبادئ العمومية في الامور الكلية وتبحث في المملكة العضوية عن وجود الاجناس وتوزعها في بعض المناطق او في بعض المواطن. ومن مباحثها المخصوصة نسبة المملكة العضوية في الطبيعة الى المملكة الغير عضوية وما بين المملكتين من العلاقة . واما الجغرافية السياسية فتبحث عن بلدان الارض واسمها من حيث اقسامها السياسية وعن النوع البشري من حيث هيئتهُ الاجتماعية ونظامهُ الخاص . ومن الاسف ان سند هذه الفروع فقدَ اكثرهُ من اصقاعنا حتى صرنا محتاجين في عصر كهذا العصر ان ننبه قومنا الى فائدة علم الجغرافية فنتكلف ايضاح الواضح وتعريف المعرَّف ان هذا لعجب عجاب

مدائح الشعراء وعطايا الامراء

بقلم جناب خليل افندي ثابت

كان لبني أُمية والعباسيين مُلْك فخيم وجاهٌ عريض رفعتهُ المواضي الى الذرى وتوطَّدت اركانهُ على العدل فامتدَّ سلطانهم في الآفاق وخضعت لهيبتهم الامم بما ذاقوا من مرارة بأسهم وسطوة جندهم وما استشعروا بهِ من طعم عدلهم وهم بعدُ في عصر مجد الاسلام يختلفون بين الغزوات واقامة المعاقل وبناء المدن وتمصير الامصار وتنظيم الجيوش وانشاء الدواوين حتى انبسط ظلهم الى ما وراء السند شرقًا والاندلس غربًا والناس راتعون في سعة من العيش ورخاء وبات الشام والعراق كعبة القاصدين والطالبين يشدُّون اليهما الرحال ويحملون اليهما نفيس المتاع والجوهر والبضائع والسلع والمتاجر ويصدرون عنهما وقد ملئت جيوبهم ذهبًا

ولم يكن نصيب الشعراء من المكاسب (على ما يروى) باقل من نصيب التجار منها فقد اتصل بنا من التاريخ وسير الامراء والخلفاء اخبارٌ اذا صدقت كان الشعراء في تلك العصور من انعم الناس بالاً واحسنهم حالاً واوفرهم ربحًا وكسبًا . فقد روى الراوُون ان الشاعر كان يدخل على الامير فيمتدحهُ بالقصيدة الواحدة فيصدر عنهُ وقد ضاق ذرعًا بنفيس الجوهر والحلل

والثياب والنوق والجمال واصبح المقرَّب في الشفاعات يفزعون اليهِ في الشكايات يدخل على ممدوحهِ من امير او ملك فاذا رأَى منهُ نشاطًا وخفة يميلان بهِ الى جانب الطرب انشدهُ فما هو الاَّ ساعة من الزمان ويخرج مثقلاً بالعطايا والهبات

وقد لا يستغرب ذلك في عصر اعتزَّ فيهِ شأن العرب وعظم امرهم وليس هو سوى بعض مآثر افاضل خلفائهم وامرائهم كمعاوية والرشيد والمأمون وامراء البرامكة ومعن بن زائدة ومن اشبههم (او كان مفرطًا في التبذير كالوليد) فقد كان من ذكرنا حمًى للآداب وسندًا لاهلها لم يخصوا الشعراء بالاكرام وانما والوا نعمهم على المتأدبين من الكتاب والمتخرجين في الصناعات الشريفة كالطب والنابغين في العلوم ولاسيما علوم الفقه والسياسات كما يعرف من مراجعة سيرهم واعمالهم

وقد اعتدنا تلقُّف كلام المؤَرخين على علاَّتهِ وصدقناهُ فيما صدقنا من رواياتهم التي قد تطابق الواقع او لا تطابقهُ حتى ترآى لقومٍ النظر في هذه الاخبار وانتقادها وتمييز صحيحها من فاسدها فنسخوا كثيرًا من الاقاصيص وازاحوا النقاب عن خطإها الفاحش وهو ما أُريدهُ في هذه الرسالة اذ يلوح لي ان في اخبار عطايا الامراء وصلاتهم شيئًا كثيرًا من الغلو والمبالغة كان بعض الدافع اليهما فيما ارى ولع المؤَرخين والكتَّاب باعظام شأن الادب والشعر واكرام من سبقهم من الشعراء او عاصرهم منهم. او ضرْبهم الى غاية اخرى كتحريض الامراء والمثرين من معاصريهم على الاقتداء بالسلف الصالح في الجود واكرام العلم واهلهِ فيصيبون بذلك بعض الكسب لنفوسهم. وانما يغلب ان تكون علة هذا الاغراق ما في الناس من حبّ المغالاة في احصاء الاموال وتكبير الاخبار اذا تناقلوها وانما هو كالذي نشاهدهُ في ايامنا هذه من هذا القبيل وكالمعروف في كل العصور من هذه المبالغة في نقل الاخبار. وقد اشار الى ذلك العلاَّمة ابن خلدون في مقدمتهِ الشهيرة في باب مؤَاخذتهِ المؤَرخين وتزييف ما ارتكبوهُ من الخطإ في تقدير عدد الجيوش والى ما يرتكبهُ عامة الناس من هذا القبيل في تقديرهم ثروة المثرين. ويردُّ هذا العلاَّمة تلك المبالغة الى خلقٍ في النفس وفطرة في الناس على ان الاقرب ان تكون من باب الاهتمام باحداث الاثر العظيم في نفس السامع او المخاطب بما يتولد في ذهنهِ من اعظام الامر واستغرابهِ اذا خالف المعروف والمعهود. ومثلهُ في الاطفال تفخيمهم الصوت في حكاية الوقائع اذا ارادوا احداث الهيبة في نفوس سامعيهم من اهلهم واصدقائهم لاسيما الاطفال من رفاقهم

ومن يمعن النظر في هذه الاقاصيص ويقارن بين البعض والبعض الآخر وينقب عن اصحاب القصائد المنسوبة الى جميع هؤُلاء الشعراء يرَ في الحكايات نفسها ما يقنعهُ بان ناقليها

او واضعيها تجاوزوا بها حدَّ المبالغة كما سترى . ولا يستغرب ذلك في عصر كان الناس عامتهم يؤمنون بحكايات الف ليلة وليلة وهم من قوَّة التخيل بحيث يصدقون ان في العالم جبال الياقوت والزمرّد والحجارة الكريمة ويقدرون دخل الاقاليم بما يزيد كثيراً عما يستطاع ان تجبى اذا اخصبت ونشت العمارة فيها على اعظم ما يمكن ان تكون عليهِ

فمن ذلك ان ابن الخياط المكي دخل على المهدي فانشدهُ شيئًا من شعرهِ فامر لهُ بخمسين الف درهم فطلب ان يقبل يدهُ فأذن فما خرج حتى فرَّق المال في الناس فلما عوتب على ذلك انشد

لمست بكفي كفهُ ابتغي الغنى ولم أدرِ انَّ الجود من كفهِ يُعدِي
فلا انا منهُ ما افاد ذوو الغنى أُفدت واعداني فاتلفت ما عندي

فعجب بهما المهدي وغنَّى بهما المغنون وامر لهُ بخمسين الف دينار(١) وهذا يزيد على دخل كبار امراء هذا الزمان. وامثال هذا الحديث كثيرة في تواريخهم (الاَّ ان يقال انهُ لم يكن في العطايا ما بلغ هذا المبلغ) فقد حكي عن معن بن زائدة انهُ وهب صاحب البيت المكتوب على الخشبة الف درهم في اليوم الاول ومثلها في اليوم الثاني وهكذا في الثالث واقسم ليوالي لهُ العطاء حتى ينفد ما لديهِ من المال (او ما في بيت المال والاوَّل اقرب الى الصواب) لكنَّ الشاعر خشي سوء العاقبة ففرَّ بما اصاب. وهذه قصة الفضل بن يحيى البرمكي وهب اعرابيًا من قضاعة مئة الف درهم لابيات من الشعر امتدحهُ بها (والابيات لشعراء متفرقين كما جاء في اعلام الناس) وامر لهُ بمئة الف درهم اخرى لبيت واحد ردَّ بهِ سهمهُ. هذه عطيتهُ لاحد اجلاف العرب على كثرة الطامعين في جودهِ واقبال المؤملين عليهِ حتى بلغ ما قيل فيهِ وفي ذويهِ من الشعر عشرة آلاف بيت من الشعر الجيد ما عدا البارد المبذول

وامثال هذه الحكايات كثيرة تضيق بها بطون الاوراق بما وسعت على انها كلها على وتيرة واحدة فمديح وعطاء وكلام منظوم حشوهُ التمليق يشترى بنفيس الجوهر وبُدر الاموال وعيشة هنيئة للشعراء يحسدهم عليها كتَّاب العصور الخالية والحاضرة حتى من منهم يكسب الوف الجنيهات من كتبة الاوربيين والاميركان البلغاء الذين يذيبون المهجة على مذابح البلاغة والشعر

في جبل لبنان من اعمال الشام عادة في الافراح يسمونها "الشوبشة" وذلك انهم يأتون برجل يجمع بين الغناء والمنادمة من المدح والوصف فيهدي اليهِ الحاضرون شيئًا زهيداً من المال كلٌّ بحسب ما يريد فاذا رمى اليهِ واحد بقرشين قرع الطبل ونادي في القوم ان فلانًا سيِّد

---

(١) وفي رواية اخرى ان البيتين في الفضل بن يحيى وان الصلة عشرون الف درهم

الكرماء وهب مئتي قرش او قد يقول اكثر من ذلك يريد تعظيم شأن الواهب والافصاح عن فكرهِ بما يزيدهُ في مقدار العطية ولا يبعد ان الخلفاء والامراء كانوا يأمرون للشعراء بمئة الف درهم او نحوها يريدون العشر او ما هو اقلّ منهُ فيقبض الشاعر المبلغ ويعود مفاخرًا (او يتناقل القوم الحديث فيزيدون في مقدار الصلة ما يشاؤُون) اذ في خبر كثرتهِ شرف لهُ وميزة على الاقران ودليل على مكانهِ في البلاغة ودالتهِ على ممدوحهِ وشدة تقربهِ منهُ (وكان لكل من هؤُلاء الامراء في الغالب شاعر او نديم ينقطع اليهِ او يقول عامة شعرهِ فيهِ) والاَّ فعلامَ نرى هؤُلاء الشعراء ممن كان يصيب الوف الدنانير في عامهِ فارغ الجيب يشكو الدهر ويتقلب في ابواب ممدوحيهِ علهُ يفوز بما يسدُّ بهِ رمقهُ فان قيل ان الشعراء لا يعرفون معنًى للاقتصاد ولا يتقيدون بالقواعد فهم يعيشون في عالم الخيال قلت ان هذا الحكم لا يسري عليهم اجمعين وفيهم الحريص والبخيل والشحيح وكانوا جميعًا في الحاجة شرعًا. ومن البديهيّ استغراب امرهم هذا وفي عصورهم امراءُ كيزيد بن مزيد يهب عليَّ بن الخليل سبعة آلاف دينار لسبعة ابيات من الشعر هنأهُ فيها بمولود مع ان الابيات باردة في بابها ولو عرضت في سوق الشعر لكسدت (٢)

وفي بعض هذه الحكايات من بُعْد احتمال الواقع فيها ما يضعف اليقين بصحتها خذ مثلاً قصة الفضل بن يحيى والقضاعيّ فقد جاء في صدرها ان الفضل خرج بحاشيتهِ الى الصيد ولم يُسمَع في الدهر الحاضر ولا في غابر العصور ان ملكاً او اميرًا يخرج الى الصيد ويحمل خزينتهُ معهُ فمن اين لهُ مئتا الف درهم يهبها الاعرابيّ وينقدهُ اياها كما يفهم من ظاهر الحكاية (ويحملها هذا على ناقتهِ الوحيدة مع ان ثقلها خمس مئة اقة فلا يحملها ثلاثة جمال) ولنا من الشواهد على ان الامراء لم يحملوا خزائنهم الى الصيد شيءٌ كثير. وقد اتفق لبعضهم في هذا الباب نوادر ظريفة مثلما اتفق لمعن بن زائدة والجواري الثلاث اللواتي سقينهُ واعطاهنَّ السهام

ومن المعلوم ان هذه الحكايات دارت على السنة الناس زمانًا طويلاً وتحدثوا بها في المجالس والاسواق قبل ان سُجّلت في الصحف ودوَّنها المؤرخون. ومن كتب منهم شيئًا من اخبارها فهو انما تلقاهُ من افواه الناس لسنين عديدة بعد حدوثها والاَّ فان من يقابل ما كتبوهُ في الخبر الواحد مع مادونوهُ في الحكاية الاخرى ليرى خللاً فمن ذلك قولهم في باب عمران بيت المال لايام المهدي ان المنصور لما ادركتهُ الوفاة قال للمهديّ في وصيتهِ انهُ خلف لهُ من

---

(٢) هذه الابيات مطلعها

يزيدُ يا ابن الصيد من وائل   اهل الرئاسات واهل المعال

الاموال ما ان كسر عليهِ الخراج عشر سنين كفاهُ لارزاق الجند ومصلحة البعوث وغير ذلك وان ما خلفهُ بلغ اربعة عشر الف الف دينار وستمئة الف الف درهم. على ان هذا المبلغ مهما كثر فهو لا يفي بنفقات الدولة سنة واحدة لذلك العهد اذا صدقنا اخبارهم في وصف عظمتها وكثرة جندها وهم القائلون ان خراج مصر كان اثني عشر الف الف دينار وهو جزءٌ من دخل الدولة وجزءٌ من نفقاتها في العام الواحد. وكفاك دليلاً على ما كان يداخل الاخبار من الزيف والفساد واعظامهم شأن المحدثين المشهود لهم بصدق الرواية فقد حكي عن الاصمعي انهُ جلس يوماً يحدث الرشيد عن الملوك حتى اذا حدَّث عن بني امية وقال " ان سليمان كان نهماً واذا قُدّم اليهِ السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمهِ وان يزيد كان اذا جلس للشراب يسقط الخمر في ثيابهِ صاح بهِ الرشيد قاتلك الله ما اصدقك في نقل الاخبار والله ان ثيابهما عندي وان الدهن لفي اكمام سليمان والخمر لفي ثياب يزيد ". هذا مع قرب عهد الرشيد والاصمعي بيزيد وسليمان وكون اخبار الملوك من الاحاديث التي يتناقلها الناس ويحدثون بها في مجالسهم ويتفكهون باعادتها فما قولك فيما كان اقلَّ منها شأناً من مثل احاديث الشعراء واخبارهم اذا نقلها غير صادقي الرواية ولم تدوَّن في الصحف الاَّ بعد ان دارت على الالسنة زماناً وتلاعبت بها ايدي المبالغة والتحريف. وترى هذا التحريف ظاهراً في القصة الواحدة اذا وردت لغير مؤرخ واحد مما يدلك على ان الكتَّاب انما تناولوا ما كتبوهُ من افواه الناس فروى كل واحد منهم ما سمع دون ان يعمد الى البحث والتمحيص وذلك لان الغلوّ في هذه الاخبار وما شاكلها لا يتوقع منهُ وقوع ضرر فهو مأمون العواقب اذ ليس فيهِ سوى اعظام شأن المعطين من الملوك والامراء وما كانوا يثيبون بهِ الشعراء الذين وقفوا ثمار قرائحهم على مديحهم والترحم على عصر كانت درر الاقوال تشترى فيهِ ببدر الاموال

ولقائل يقول وكيف تكذّب هذه الحكايات وانت قريب العهد باسماعيل باشا خديوي مصر الاسبق واهب الالوف للمغنين والتجار والندماء والشعراء. قلت لم يسمع عن ثقة ان اعطيات هذا الامير كانت في القدر الذي نراهُ في صلات من ذكرنا وما خالف ذلك من الروايات فمؤيد للتعليل السابق من المبالغة في نقل الخبر وعدم التثبت منهُ قبل ايرادهِ واذا كان هذا الامر في ما يسمع عن اسماعيل باشا على قرب العهد بهِ فما قولك في اخبار الامراء الذين غابت اجسامهم عشرات السنوات قبل ان حُرّرت اخبارهم. واغرب ما يحكى عن الخديوي انهُ وهب نديمهُ الف جنيه في ليلة واحدة واين هذا من هبات معن والفضل ونحوهما. ولا تدفع هذه المقارنة بان يقال ان الخلفاء والامراء كانوا اعظم ثروة من اسماعيل فلم يكن

العزيز بالرجل الذي يفرق للملايين ولو حسب ما انفق من دخل مصر وريع املاكهِ وما اقترضهُ من الاجانب وما ابتزَّهُ من الرعية ما تجاوز القدر ما انفقهُ احد خلفاء العباسيين او امراء ذاك الزمان في مدة مساوية لحكم الخديوي اضف الى ذلك ان الدراهم كانت في ايام الخلفاء اعزُّ منها اليوم واكثر قيمة يتضح لك شدَّة الاغراق في ذكر هذه الهبات

والمستفاد من بعض الحكايات في هذا الباب أَنَّ الأُعطيات لم يصبها المؤَملون في جميع الاحوال ولعلَّ بعضها لم يتجاوز حدَّ الامر بالصلة والشكر على النعمة كما هو واقع اليوم من ملوكٍ يجودون على هذا النمط . ويؤَيد هذا الرأي ما جاء في اعلام الناس في قصة معن بن زائدة والرجل الذي استجار بهِ فانهُ بعد ان امنَّهُ واتى بهِ الى بيتهِ وهو طلبة امير المؤمنين دخل على الخليفة فالتمس لهُ الامان والعطاء فاجابهُ الى الاول وامر للرجل بمئة الف درهم (كذا) فقال معن اجعلها حاضرة يا أَمير المؤمنين . والمستفاد من هذا القول ان معناً كان يخشى المطل او التسويف لعلمهِ باحوال ذلك الزمان والاَّ فلا فائدة لقولهِ هذا

وقد تفننوا في وضع هذه الحكايات حتى بلغوا بها حدَّ الاغراق وبات تصديقها من المحال فهذه قصة الاخطل مع يزيد بن المهلَّب يوم حبسهُ الحجاج واقسم ليستادينهُ مئة الف درهم كل يوم لباقٍ عليهِ في خراسان فاذا هو قد جباها لهُ ذات يومٍ ودخل عليهِ الاخطل فانشدهُ الابيات التي منها

ابا خالدٍ ضاقت خراسان بعدكم   وقال ذوو الحاجات اين يزيدُ

فقال يزيد يا غلام اعطهِ المئة الف درهم إِننا والله لنصبر على ظلم الحجاج وعذابهِ ولا نخيب الاخطل

هذا الاخطل شاعر بني أُمية يغادر الخلفاء ويقصد رجلاً في محبسهِ فيستجديهِ دراهم قد تذهب روحهُ بذهابها انَّ هذا لبعيدٌ عن شيم الشعراء وغريب في باب الكرم (وان شئت فقل الجنون) والاخطل في المكانة والحظوى عند الامويين بحيث لو اراد مالاً لاصابهُ بمدحهِ الخليفة او احد اولادهِ او اقربائهِ كما كان يفعل فيهبونهُ الالوف اذا صدقت روايتهم

ولا يستفاد من هذه الاقوال نفي الجود عن الخلفاء والامراء فقد كانوا في المنزلة التي لا يساورهم فيها مساور ولا ينازعهم منازع على أَن ما ينسب اليهم من الجود والكرم في هذه الاقاصيص وامثالها ليجدر ان يعدَّ من قبيل الاسراف والتبذير وهو ما نجلُّ اكثرهم عنهُ وفيهم الافاضل واهل الصلاح والتقى والعالمون بسياسات الدول والعارفون بقواعد العمران. والاَّ فقد رُوِي عن المهديّ انهُ حجَّ سنة فحمل الهدايا الى البيت وفرَّق المال في الناس واطعمهم وسقاهم الماء مبرَّداً بالثلج المحمول من بلاد الشام (كذا في الاصل) فبلغ ما انفقهُ مئات الالوف من

الدنانير (وفي روايةٍ ستة آلاف الف دينار) ولا يستغرب ذلك من المهديّ فانهُ كان يضرب الى غاية بعيدةٍ من اقرار ولاية العهد في ولديهِ واظهار عظمتهِ وفخامة ملكهِ لاهل الحرمين ليعلموا ان الاسلام مغتبط بمناحيهِ وليثبتوا على ولائهِ وولاء بنيهِ بعدهُ . وهذا شاه ايران انفق في رحلتهِ الى اوربا نحو نصف مليون ليرا (على ما روتهُ الصحف السيارة) هذا ما عدا الجواهر والحلى التي اتى بها من بلادهِ واهداها الى مَن اراد اكرامهُ من الاوربيين ولو نقل الينا الرواة ان جلالتهُ أَمر لشاعرٍ بخمسة آلاف جنيه لاكبرنا الامر واستغربناهُ وعزونا الى قائلهِ حبَّ المبالغة حتى يأْتينا صادق الرواية بالحق اليقين والخبر الاكيد وذلك لما بين النفقتين من تباين الغاية واختلاف المطلوب

ويعلم المولعون باخبار العباسيين ومن عاصرهم من الادباء والشعراء ان غالب النوادر من القصص الموضوعة والواقعة في ذلك العهد يعزى الى ابي نواس في باب الفكاهات والى الاصمعي في باب الرواية لا لان جميعها اتفق لهذين الرجلين بل لان اولهما اشتهر بالهزل وعرف ثانيهما بسعة الاطلاع وصدق الرواية فصار القوم ينسبون اليهما ما غابت عنهم اسماء اصحابهِ او كأَن الذين اتفق لهم من الاولى لم يشتهر امرهم. وكذلك الظن في كثير من حكايات الشعراء والامراء فقد خصَّ بنفرٍ من الخلفاء والعظماء لانهم كانوا اعظم جاهاً من سواهم وابعد صيتاً وشهرةً كالمهديّ والرشيد من الخلفاء والفضل بن يحيي ومعن بن زائدة ويزيد بن المهلَّب من الامراء فما لم يتفق لهم نُسِب اليهم لاشتهارهم بالجود ومكارم الاخلاق

وقد كان من هؤُلاء الممدوحين كثيرون من الامراء المستعملين على ولايات الاقاليم وكانت اعطياتهم تضاهي اعطيات الملوك او تفوقها اي ان هباتهم كانت تفوق دخلهم الاَّ اذا سلمنا انهم كانوا يختلسون ما في بيوت مال المسلمين وهو الامر الذي لا يسلَّم بصحتهِ على المعروف من عدل الخلفاء في تلك العصور وسلامة الامة من الفساد فاما ان يعلَّل عن هذا العطاء الفاحش بما عللناهُ او ان يعزى الى اولئك القوم ما قد يكونون براءً منهُ من الاختلاس والاوَّل اقرب الى المشهور من انتظام الدولة في ذلك العهد وادنى الى شيمهم ومكارمهم

وقد رأَيت من باب الفكاهة ان اختم هذه الرسالة بقصة سمعتها من صديقي الفاضل سليمان افندي البستاني وهي ان منيف باشا دخل على الصدر الاعظم لدولة ايران لدن قدومهِ سفيراً للباب العالي الى الاقطار الايرانية فاذا في الحضرة شاعر ينشد بالفارسية والسفير يعرفها فلما فرغ امر لهُ الوزير بعشرين الف دينار فاكبر منيف باشا ذلك وقال في نفسهِ وزيرٌ يصل شاعراً بعشرين الف دينار ليفوق اهل الارض غنًى وسعة ثروة ومكارم ورأَى من التطفل الاستفهام

في الديوان فحفظها حتى لقي احد الكبراء فاطلعهُ على ما خامرهُ وعلم منهُ ان في بلاد فارس درهماً قيمتهُ نحو ثلاثة قروش نقش عليهِ ثمنهُ في بلاد العجم "الف دينار" فبلغت عطية الوزير بذلك ستين قرشاً ولا يستعظم ذلك من بدَّال فكيف بهِ من وزير

هذا بعض ما عنَّ لي في هذا الباب واني اعزم علي الادباء ممن يطلع عليهِ ان يوضحوا بعض ما أشكل عليَّ فهمهُ ويقوِّموا ما فيهِ من الاعوجاج

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل التاسع

آدم بسو — "ما عندك من الاخبار يا يسَّاكر". وكان يسَّاكر هذا طبيباً ماهرًا في الطب والتنجيم وكان قد احيا ليلهُ ساهرًا بجانب سرير بسو

يساكر — الاخبار التي عندي لم تصلنا حتى الآن

بسو — فكيف عرفتها ان كانت لم تصل حتى الآن

يساكر — عرفتها بعلم الحرف وفتح الكتاب بشائر تأتينا عن قريب ان شاء الله

بسو — لمن هذه البشائر هي للوالي واتباعهِ ليس لبسو ولا لاهلهِ

يساكر — الله كريم لا تقنطنَّ من رحمة الله . والآن لا بدَّ من تغيير الرفادة فضع ذراعك على هذه الوسادة يقلَّ المك

بسو — لو كنتَ تعلم ما في نفسي من الالم لرثيتَ لحالي

التسليم للاقدار مزية في المشارقة . وقد كانت في بسو على اتمها فلم يتذمر مما حلَّ بهِ بل صبر علي الضيم وتوكل على الله معتمدًا على الوسائل التي استخدمها لانقاذ ابنتهِ . وكان الوالي حاقدًا علي النصيرية متربصاً بهم فرص الدهر فاستفزَّتهُ شكاوى بسو لتدويخ بلادهم والايقاع بهم ولكن لولا الالحاح عليهِ لسوَّف ذلك الي ما شاء الله على عادة امثالهِ . فامر بارسال ثلاث اورط من المشاة وفرقة من الفرسان وبعض المدافع وسار معهم هلال بسو خطيب حواء تاركاً عمهُ لعناية طبيبهِ يساكر بن سليم اشهر اطباء حلب

سار هذا الجيش الى ان قرب من بلاد النصيرية وكان غرض هلال بسو ان يطلب فك الاسرى بالوسائل الحبية فاذا لم يجب طلبهُ لجأُوا الى القوة . فبعث رسولاً الى ملكة

النصيرية يعرض عليها فكاك حواء فاجابتهُ ان حواء غادرتهم منذ ايام فظنها حيلة منها لتنجو منهم

وفي مساء اليوم الذي جرى فيهِ الحديث المذكور في اول هذا الفصل رأى الرقباء من ابراج حلب فرسانًا تجري في عرض القفر فظنوهم اولاً من طليعة فرسانهم وقد اسرعوا ليبشروا الوالي بالفوز المبين . وكان هلال بسو واحدًا من هؤلاء الفرسان وقد علاهُ الغبار وامتزج بعرقهِ حتى كاد يخفي وجههُ عن الابصار فظل سائرًا الي بيتهِ وهو يجيب من يسألهُ عن خبرهِ بكلمات مبتورة الى ان وصل البيت فرفع بسو رأسهُ وسألهُ عن خبرهِ وعن حواء فقال دارت الدائرة علينا. فصرخ بسو صرخة عظيمة وكاد يغمي عليهِ . فقال هلال ولكننا لم لا نقطع الامل لانني رأيتُ واحدًا من النصيرية اكَّد لي ان حواء هربت من حصنهم

بسو — كلاَّ هذه حيلة منهم اين الجنود هل اخذتم الجبال

هلال — لو اخذنا الجبال ما كنتَ تراني هنا الآن فان النصيرية هبوا في وجهنا واثخنوا فينا ولم ينجُ منا الاَّ كل طويل العمر . وقد كان الفوز لنا في اول الامر فارتدَّ النصيرية من امامنا وخافوا من مدافعنا حتى اذا اوغلنا في الشعب الموصل الى حصنهم ابتدرونا برمي الرصاص وطرحوا علينا حجارة كبيرة من اعالي الجبال فاختلط فرساننا بمشاتنا بمدافعنا واختبطنا اختباطًا فانهزم الجنود وعادوا الى السهل ولم نكد نبلغهُ حتى رأينا رماح النصيرية والاكراد تعمل في اقفيتنا فاركنَّا الى الفرار ولولا سرعة فرسي ما نجوتُ بنفسي

بسو — متى رأيت النصيري الذي اخبرك عن فرار حواء

هلال — رأيتهُ ليلة الواقعة وكان قد أُرسل اليَّ بكتاب فامسكهُ جنودنا في الطريق واخذوا الكتاب منهُ ومزقوهُ لكنهُ توسَّل اليهم ان يوصلوهُ اليَّ فاوصلوهُ فاخبرني ان حواء نجت من الحصن وان الكتاب كان في هذا المعنى وقد كتبهُ لي قائد النصيرية

ولما قال ذلك دخل الغرفة عبد اسود واشار الى يساكر فقام وتبعهُ ثم عاد بعد بضع دقائق وقال جاءنا رسول آخر ببشائر اخرى . فقال بسو ياالله آبائي اين هذا الرسول عليَّ بهِ . وقبل ان يتمَّ كلامهُ دخل فخر الدين ودنا من سريرهِ وقال هانذا يا ابي . فامسك بسو بيدهِ وقال قل لي أَخبرني اين حواء . فقال خلصتها خلصتها كن مطمئنًا . فقال بسو نعمًّا يا ابني نعمًّا سترى بيرقك يخفق فوق الف حصن . نجت ابنتي نجاها اخوها . باركي يا نفسي الرب اله آبائي . قال ذلك واستلقى على ظهرهِ وهو يقول حواء حواء إئتوني بها . فقال فخر الدين ستأْتي حالاً والتفت هلال بسو الى فخر االدين وهنأَهُ بسلامتهِ لكن يساكر امسك بيديهما واخرجهما من الغرفة قائلاً قد أُغمي عليهِ فاخرجا من هنا

ولم تطل نوبة الاغماء على بسو فافاق منها سريعًا وهو يقول كنتُ احلم بابنتي . فانهُ حلم بها واقفة امام سريرهِ تنظر اليهِ بعينيها النجلاوين وقد زاد نحولها وانكسار جفنيها

الفصل العاشر

لما كان تنكرد في القفر وباغتهُ اولاد رشاد على ما تقدم رأى أسلوبهم في الحرب خير اسلوب يتَّبع في تلك البلاد وعزم ان يجري عليهِ في مناجزة جنود حلب والدفاع عن بلاد النصيرية وقال في نفسهِ الحرب خدعة : فاذاع ان النصيرية خافوا من الجنود وتركوا الشِعب وتحصنوا في الجبال وراءهُ . فسارت الجنود الى ان دخلت الشِعْب وهي لا تدري بما دبرهُ لها تنكرد ورجالهُ النصيرية من الحيلة حتى اذا تبطنتهُ وعسر عليها الخروج منهُ اصلاها النصيرية نارًا حامية من بنادقهم واهالوا عليها الحجارة الكبيرة فعاد من سلم منها الى السهل . وكان تنكرد واقفًا لها بالمرصاد في شعب آخر مع فريق من فرسان النصيرية والاكراد فهجم عليها بهم الاَّ ان الفريق الاكبر من فرسان الاتراك كان قد دخل الجبال من شِعْب ثالث وبلغهُ ما حلَّ ببقية الجنود فعاد لنجدتهم وقطع خط الرجعة عن تنكرد ورجالهِ . ونظر تنكرد الى ما وراءهُ فرأى فرسان الاتراك جادَّة في اثرهِ ولو علم الجنود ان فرسانهم بادرت الى نجدتهم لارتدُّوا على تنكرد ورجالهِ ولم يبقوا على احد لكنهم لم يدروا بذلك على ما يظهر بل ظنوا الفرسان نجدةً لعدوهم . ورأى تنكرد الخطر محدقًا بهِ وكان باروني الى جانبهِ فاشار عليهِ ان ينحرف الى اليمين ويوغل في الصحراء الشرقية ورأى تنكرد ان ما اشار بهِ باروني هو عين الصواب فالتفت الى الفرسان الذين معهُ وكانوا نحو عشرين فارسًا واشار اليهم ان يعرّجوا معهُ نحو اليمين وكانت خيولهم من السوابق فاطلقوا لها الاعنَّة ولم يخيم الليل حتى ابعدوا عن فرسان الاتراك فعادت عنهم يئسة من ادراكهم وظلوا سائرين الي ان وصلوا الى قرية ابتاعوا من اهلها طعامًا وعليقًا لخيولهم ثم نهضوا قبل الفجر وواصلوا السير النهار كلهُ

وكان فصل الشتاء على الابواب وقد هطلت الامطار فاحيت موات الارض وكستها بالنبات فكانوا يجدون المرعى لخيولهم كلما اعياها السير حتى اذا كان اليوم الثالث بلغوا نهرًا كبيرًا من النواصر التي تصب في الفرات والى جانبهِ قفر لا تصل العين الى مداهُ فنظر باروني اليهِ وقال بادية الشام تراها الآن صحراء قليلة النبات ولكن لا يمضي اسبوعان حتى تجدها بساطًا من الديباج مرصّعًا ببدائع الازهار يتضوَّع اريجها فيعطر الارجاء . والتفت تنكرد يمنةً ويسرةً وقال هذا هو القفر الذي اصبو اليهِ والبداوة التي تحنُّ اليها نفسي

ثم مالوا الى الجنوب وواصلوا السير فالتقوا بذلك النهر ثانية واذا السهل الذي يليهِ بحر

يموج بالمضارب والجمال والخيول والقطعان ونساء البدو خارجات الى الماء جرارهن على رؤُسهنَّ . ولم يكن الّا كلا حول ولا حتى خرج من بين المضارب كوكبة من الفرسان واقبلت على تنكرد ورجالهِ . فقال باروني لما وقع نظرهُ عليها اخوان ان شاء الله لانهُ لا ينزل في هذه المنازل غير بني رشاد . ودنا منها وقال بنو رشاد ان شاء الله فقالوا بنو رشاد أُباة الضيم وقراة الضيف. فقال اذاً قولوا لاميركم ان صديقهُ الامير الانكليزي يقرئهُ السلام وهو ضيف عليهِ الليلة . فادار واحد من الفرسان رأس جوادهِ وغاب عن الابصار ووقف تنكرد وهو يقول عادت بنا الاقدار وارتنا هذا الشيخ الجليل في ديارهِ . ثم ساروا الهوينا نحو المضارب ولم يسيروا طويلاً حتى رأوا الشيخ مالكاً خارجاً للقائهم بموكب عظيم فحيا تنكرد ورحَّب بهِ وبرجالهِ ومضى بهم الى خيامهِ

وكان مع الشيخ مالك في ذلك القفر نحو خمسة آلاف نفس والفا فارس ونحو عشرة آلاف جمل وهو الجانب الاكبر من بني رشاد

وذُبحت الخرفان واوقدت والنيران وطحن البن وقدمت القهوة للضيوف ثم جيء بالطعام ووقف الشيخ مالك في خدمتهم حتى اذا شبعوا من الطعام وخرج كل الى مضربهِ اختلى تنكرد بالشيخ وسألهُ عمَّا اذا كان يعلم شيئاً من امر حواء فقال كلاَّ وماذا جرى لها. فاخبرهُ تنكرد باسرها في بلاد النصيرية وهربها مع فخر الدين. فقال لهُ الشيخ اذاً هي الآن في حلب وسأُخبرك بجلية امرها بعد بضعة ايام ثم استدعى واحداً من رجالهِ وامرهُ ان يرسل رسولاً الى حلب في الحال. ثم قال لتنكرد وما اوصلك الى بلاد هؤُلاء الملاعين عبدة ابليس فقال تنكرد القصة طويلة وسأُخبرك بها ولكن لا يخفى عليك انهُ مضى عليَّ ثلاثة ايام وانا على ظهر جوادي ولو لم التقِ بكم هنا ما كنت ادري ما يحلُّ بي لاني لا استطيع ان اتحمل هذه المشاق طويلاً . واذا كانت حواء سالمةً فهذا حسبي وغاية مناي ولكن ما هي غاية مناي وما هي الاماني وماهي الحياة وما هو الانسان ثم وقع الشبق من يدهِ وران الكرى على عينيهِ فنام

الفصل الحادي عشر

التقى القنصل بسكواليجو بالخواجه باريزي في احد شوارع القدس وقال لهُ بلغني ان بسو متقدّم نحو الصحة. فقال باريزي نعم ولكنهُ لم يجز الخطر على ما اخبرني طبيب الامير الانكليزي. فقال القنصل ما اتى بهِ الى هنا كان يجب عليهِ ان يبقى في حلب. فقال باريزي هو يأتي القدس كلما انحرفت صحتهُ لانهُ يقول ان هواءها اصلح شيء لشفائهِ واذا لم يشفَ فهو يحب ان يُدفن في وادي يهوشافاط . فقال القنصل ولكنهُ ليس في القدس الآن . فقال باريزي ما مرادك

بذلك فاني ذاهب الآن لعيادتهِ . فقال القنصل الظاهر انك لا تعرف شيئًا لانهُ في بيت عنيا وليس في القدس

فقال باريزي القدس او بيت عنيا على حدٍّ سوى ولكن متى تتكلل ابنتهُ يا ترى

القنصل — لا تتكلل الاَّ بعد ما يشفى ابوها

باريزي — اسمعتَ في زمانك ان الاكراد غلبوا عساكر النظام

القنصل — اكراد من قال لك ذلك . عساكر من الروس في لباس الاكراد . وقد غنموا منهم مدافع مسبوكة في بطرس برج ووجدوا اوراقًا مع واحد منهم تكشف كل المخبإِ وستنشر كلها عن قريب وقد كتب لي القنصل لورلاً من الشام ان المسألة الشرقية انفتحت من جديد

فاضطرب باريزي من هذا الخبر وقال لهُ هذا الذي كنت اخشاهُ فان الوزير بامرستون لا يقرُّ لهُ قرار حتى يمتلك القدس

القنصل — هذا شأن الانكليز فانهم لا يكتفُون عن فتح الاسواق لمتاجرهم

باريزي — الحق بيدهم وانا سأُوسع شغلي هنا ولكن اخاف ان بيت بسو يحتكر الاقطان كلها

القنصل — اظن ان الانكليز لا ينجحون عندنا فانهُ ليس عندنا شيءٌ نعطيهم اياهُ بدل بضائعهم وخير لنا ان نجلب بضائعنا من بلاد النمسا فان النمساويين يعطوننا بضائعهم ويستعيضون عنها بالصلبان والمسابح

باريزي — اما انا فلا اريد ان اتاجر بالصلبان والمسابح

القنصل — ولكن ابن عمك يتاجر وقد امر الصناع في بيت لحم ان يصنعوا لهُ مقدارًا كبيرًا منها

باريزي — خزاهُ الله ولكن ما الحيلة فان كان الناس يطلبون الصلبان والمسابح فلا بدَّ من تقديمها لهم والتجارة تمدّن الدنيا

وبينما هما في هذا الحديث مرَّ بهما فارسان ووقفا امام باب حسن نجيب فقال القنصل من هذان الفارسان فقال باريزي هما الامير الانكليزي وتابعهُ وقد غابا عنا ستة اشهر مضيا فيها الى مصر

القنصل — اظنهُ ذهب الى هناك ليرى هياكل المصريين القدماء ويصطاد التماسيح مثل كل الانكليز

باريزي — لقد احسن برجوعهِ الى هنا لان القدس اجمل مدن الدنيا

القنصل — اجمل مدن الدنيا البندقية لا القدس

باريزي — من اين عرفت هل رأَيتها

القنصل — لم ارَها ولكن اسلافي بنوها وعندي صورة من صورها

باريزي — لم اسمع احداً شبَّه البندقية بالقدس قبلك

القنصل — القدس لا تستحق ان تكون جارية عند البندقية

باريزي — اعلم يا خواجه بسكاليجو الذي يسمي نفسهُ قنصلاً ان القدس مدينة الله وقرَّة عين الانسان

القنصل — بُش

باريزي — بُف

القنصل — لا بدَّ لبسو من ان يتركها حالما يتعافى

باريزي — هذا الكلام لا تتجاسر على التفوُّه بهِ في حضرتهِ

القنصل — مَن ؟ انا ؟ أتقول لقنصل دولة عظيمة انهُ لا يتجاسر

باريزي — نعم اقول لابن قوَّاس قنصل النمسا في صيدا

القنصل — سترى ما يجعلك تندم على هذا الكلام وسأكتب اليوم عنك الى سفيرنا في استانبول

باريزي — لماذا تكتب اذهب بنفسك ما دمت قد تعبت من الاقامة في القدس

ورأى القنصل انهُ أُفحم عن الجواب فالتفت الى خصمهِ ونظر اليهِ نظر الغيظ والتوعُّد وسار في سبيلهِ

وترجَّل تنكرد ودخل البيت وكان قد استأجرهُ منذ نصف سنة ولم يقِمْ فيهِ اما باروني فكان يعرفهُ جيدًا من قبل . وكان قنصل بيروت قد بعث بفريمان وترومان الى القدس فوصلاها سالمين . وكان الكولونل براس في ذلك اليوم يتغدَّى عند قنصل الانكليز ويأكل نوعًا من الحلوى علَّم الطباخ كيفية طبخهِ . والقس برنارد في بيت لحم يعاون المطران في تعليم بعض النساطرة الذين انضموا الى الكنيسة الانكليزية . والدكتور روبي في غور الاردن يفتش عن بعض الحشائش الطبية . اي ان تنكرد عاد الى بيتهِ فلم يجد فيهِ احدًا من الرجال الذين انفذهم ابوهُ معهُ ليساعدوهُ في رحلتهِ . فتفقَّد غرف البيت كلها ثم التفت الى باروني وقال لهُ اني صغير النفس جدًّا ولم اكن اظن اني ادخل القدس فلا اجد فيها ما يسرني فقال باروني هذه نتيجة لازمة عن الانتقال السريع من البداوة الى الحضارة . ثم اراد ان يرسل وراء الكولونل براس فمنعهُ تنكرد من ذلك قائلاً دعهُ يرجع من نفسهِ لكي لا نقلق احدًا

ومضى النهار وتنكرد يقرأ او يمشي من غرفة الى اخرى وهو مشغول البال مضطرب الافكار.

ونام باكرًا تلك الليلة . وعاد الكولونل براس في المساء واستغرب لما بلغهُ رجوع تنكرد واراد ان يراهُ فمنعهُ باروني. وعاد بعدهُ القس برنارد من بيت لحم وكان بعض الطغام قد لحقوهُ في الطريق ليسلبوهُ نسخة من التوراة مواسكها من الذهب اهدتها اليهِ كونتس بلامونت قبل سفرهِ مع ابنها فضربوهُ لكنهُ نجا منهم سالمًا . وعاد الدكتور روبي بحشاشتهِ قرب نصف الليل فوجد ابواب المدينة مقفلة فاضطرَّ ان ينام في وادي يهوشافاط وكان معهُ خادم فاكل الحشائش لكي لا ينام جائعًا

ومضى الليل على تنكرد وهو يحلم احلامًا مزعجة فيرى نفسهُ تارةً في البرية وطورًا في حصن النصيرية واخرى في قصر بلامُنت ويرى امهُ ويدنو منها ليعانقها فيراها استحالت الى الهة من آلهة السوريين وجهها مثل وجه حواء

ونهض في الصباح باكرًا وكتب ورقةً للكولونل براس يقول لهُ فيها انهُ خارج للنزهة ويعود بعد ساعة من الزمان واعطى الورقة لخادمهِ فريمان وخرج من المدينة وصعد على جبل الزيتون وكان الجو صافيًا والنسيم عليلاً فوقف في مكان يشرف على المدينة وجعل يقلب طرفهُ في ابراجها وحصونها وينظر الى ما حولهُ من البلاد وهو يستنشق نسيم الصباح الى ان علت الشمس ولذعتهُ بحرها فعاد ادراجهُ ولكنهُ لم يسِر نحو المدينة بل سار في جهة اخرى الى بيت عنيا

الفصل الثاني عشر

مالت الشمس الى المغيب وبسطت اشعتها الذهبية على سعوف النخل في بستان حواء وهي جالسة في الرواق الذي فوق الفسقية تلعب بزهرة في يدها وتنظر الى الماء المتدفق امامها وكانت قد تركت تنكرد مع ابيها بعد ان قضي النهار معهُ ومعها وسرد لهما الحوادث التي مرَّت بهِ بعدما التقى بها اولاً في ذلك البستان . وبينما هي غائصة في بحار الافكار سمعت تنكرد يقول لم ارَ لي بدًّا من مشاهدة الشمس وهي تغيب عن بادية الشام وقد كدت أُقنع اباكِ بالخروج معي . فالتفتت اليهِ وقالت دخل فصل الشتاء وبرد الهواء فليس من الحكمة خروجهُ الآن . فقال نعم وحبذا لو بقيت الليالي حارَّةً كما كانت حينما زرت هذا البستان اول مرة ما اسعد تلك الساعة . فقالت لا نعلم ما هو السعيد في هذه الدنيا . فقال "ولكن انا اعلم" وجلس بجانبها . فقالت لهُ ان كل ما تكلمنا عنهُ هذا ايضاح لهُ نتيجة واحدة وهي الغم والشجن ولذلك تراني كمن يختبط في وهدة اليأس لا لانني قنطت من رحمة الله بل لانني اخشى من اننا اضعنا جانبًا كبيرًا من قوانا عبثًا وقد نكون من طلاَّب الاماني التي لا تنال وقصَّاد المطالب التي لا تُدرَك

تنكرد — اما انا فايماني وطيد ولا اتقلقل الاَّ اذا وجدتُكِ انت متقلقلة

فتبسمت وقالت قد يكون ما اراهُ من الحزن من قبيل ما يشعر بهِ كل احد عند غروب الشمس. فقال لا يجتمع الحزن مع الحب ولقد طالما خامرني الحزن وانا وحدي ولكنني اذا جلست معكِ انتعشتْ نفسي وفُرِّجت كربتي

فقالت ولكنك لم تكن كذلك قبل هذه الحوادث حينما كان غرضك روحيًّا محضًا حينما كنت تفكر بالملائكة والوحي اما الآن وقد رأيتَ ما رأيتَ من الحيَل والدسائس والمشاكل فلم يبقَ ايمانك كما كان

فنظر في وجهها وقال " انتِ الملاك الذي كنتُ اطلبهُ فلم يزل ايماني وطيدًا لا يتزعزع ولم يزل غرضي روحيًّا محضًا . آهِ يا حواءُ ألاَ تتنازلين وتقبلين قلبًا لا يحبُّ سواكِ نعم اني انا ايضًا اشعر احيانًا كثيرة بشيءٍ من القنوط ولكنني لا اشعر بذلك الاَّ حينما ارى نفسي تحبُّ من اخاف ان لا تحبني ". وكان قد امسك بيدها فابقت يدها في يدهِ وقالت لهُ بصوت يكاد لا يُسمع لا يمكننا ان نتكلّم في هذه الامور لانك تعلم ما يفصل بيننا

فقال لا اعلم شيئًا ولا اريد ان اعلم الاَّ بما اشعر بهِ من الحب لكِ

فقالت انسيتَ اني من امة وانتَ من اخرى اليك عني يا ابن اوربا يا ابن الامة المسيحية . قالت ذلك وحاولت نزع يدها من يدهِ . فقال نعم انني اوربي مسيحي ولكنني احبُّ فتاة من الامة التي جاء المسيح منها فلماذا ابتعد عنكِ

فقالت هذا هو الجنون بعينهِ

فقال "بل هو الهام الهي ولا افارق هذا الرواق الذي التقينا فيهِ اول مرة ما لم تقولي لي ان قلبينا متحدان على اتمام الغرض الذي خلقنا لاجلهِ. ولا تقولي لي ان امتي تخالف امتكِ وبلادي تخالف بلادكِ فانني لا امة لي ولا بلاد اما الروابط التي تفصلني عنكِ وتمنعني عن الارتباط بكِ فقولي لي انكِ تحبينني فامزقها وادوسها تحت قدميَّ ". ولما قال ذلك وقع رأسها على صدرهِ فقبَّل جبينها ونظر الى عينيها فرآها قد غابت عن الصواب فوضع رأسها على وسادة وجعل يرش الماء على وجهها ويفرك يديها حتى افاقت وفتحت عينيها وحينئذٍ سمع صوتًا وجلبةً في البستان واناسًا ينادونهُ باسمهِ فالتفت واذا اناس كثيرون والمشاعل في ايديهم حتى اذا دنوا منهُ رأى بينهم الكولونل براس والقس برنارد والدكتور روبي وخادميهِ فريمان وترومان وكثيرين من العبيد والغلمان فقام للقائهم وسألهم عن سبب تفتيشهم عنهُ فاخبرهُ الكولونل براس ان اباهُ وامهُ وصلا القدس. انتهى

تذييل يُفهَم من الرواية ان تنكرد اقترن بحواء بعد ذلك ونَقض الحواجز القديمة التي كانت تفصل بين الانكليز واليهود وان اقترانها بهِ كان برضى خطيبها لان امياله ومشاربهُ لم تكن مثل اميالها ومشاربها . وكل ما في الرواية موضوع وضعاً كما لا يخفى ولكن ليس العبرة بحوادثها واسماء الرجال المذكورين فيها وكونها صحيحة او غير صحيحة بل بالصور الادبية والمعاني السامية التي وعتها مما جادت بهِ مخيلة امهر كاتب بين الكتاب وادهى وزير بين رجال السياسة

بناء الاجسام الحية

خطبة الرئاسة للسر وليم ترنر رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني (تابع ما قبلهُ)

تكاثر الخلايا

يظهر ان فون موهل النباتي كان اوَّل من انتبه الى تكاثر خلايا النبات بالانقسام وذلك سنة ١٨٣٥ . لكن لم يُعرف اصل النواة ووظيفتها في تكوُّن الخلايا الجديدة الاَّ بعد ان اهتمَّ العلماء بدرس البيضة في حيوانات مختلفة وما يحصل فيها من التغيرات بعد تلقيحها . وقد انتبه فون بير وغيره من الباحثين الى الحويصلة التي نسبتها الى البيضة نسبة النواة الى الخليَّة وذلك قبلما نشر شوان كتابهُ المشهور سنة ١٨٣٩ . وباصلاح وسائط البحث ظهر انهُ يصير في البيضة حويصلتان بعد ان كان فيها حويصلة واحدة ثم يصير فيها اربع حويصلات بدل الاثنتين ثم ثمانٍ وهلمَّ جرًّا بالتضعيف الى ان تحوي البيضة كثيرًا من الحويصلات وفي كلٍّ منها نواة. وعليهِ فالحويصلات خلايا تكونت داخل الجرثومة الاصلية التي في البيضة. وقد وصف مارتن بري هذه التغيُّرات سنة ١٨٣٩ و١٨٤٠ برسالتين قدمهما الى الجمعيَّة الملكية في مدينة لندن وسمَّى الهيئة التي تظهر على ظاهر البيضة حينئذٍ من تكوُّن الحويصلات فيها بالهيئة التوتية نسبة الى ثمر التوت . وابان ايضاً ان الحويصلات تنتظم طبقة داخل غلاف البيضة اي داخل المنطقة الشفافة وان الجنين كلهُ مؤَلف من خلايا مملوءة باصول خلايا أُخرى . والخلايا الجديدة تتولد من حويصلة البيضة او نواتها فان المادة التي فيها تدخل بناء الخليتين الاوليين وفي كل منهما نواة ثم تنقسم كل حلية الى اثنتين وهلمَّ جرًّا. فثبت حينئذٍ ان الخلايا الجديدة تتكوَّن داخل الخلايا القديمة. ثم ابان في رسالة ثالثة نشرها سنة ١٨٤١ ان الخلايا الجديدة تتكوَّن بانقسام نواة الخلية التي تتولد منها لا من تبلور السائل الذي في الخلية ولا من الجرثومة التي خارجها

ونشر جون غودسير رسالة سنة ١٨٤٢ وافق فيها على ان النواة هي الجزء النامي من الخلية ومنها تتكوَّن خلايا أُخرى ونشر رسالة ثانية بعد ثلاث سنوات موضوعها المراكز الغذائية وصف فيها الخلايا وقال ان نواها اصل الخلايا الحديثة التي تملأُ فراغ الخلية الاصلية من وقت الى آخر . وبحث ايضاً عن تكوُّن الخلايا في الخلايا الغضروفية مدة الالتهاب وفي غيرها من خلايا الانسجة الاخرى التي فيها تغيرات باثولوجية

وتولد الخلايا من خلايا أُخرى سابقة لها على هذا الاسلوب مطابق لما يعلم الآن من امر الخلايا بعد ان اتسع نطاق البحث فيها

ونشر روبرت دمارك سنة ١٨٤١ انهُ رأى في الكرية من كريات الدم نواتين واستدلَّ من ذلك على تولد الخلايا بعضها من بعض بانقسام النواة في الخلية الاصلية التي تتكون منها الخلايا الجديدة ولكن لم يثبت انقسام النواة الاَّ سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٥٥ فانهُ ابان حينئذٍ ان النوية تقسم اولاً ثم يتبع انقسامها انقسام النواة ثم ينقسم جسم الخلية وغشاؤُها . واتضح من متابعة البحث ان الخلايا تتولد بعضها من بعض اما بانقسام النواة داخل الخلية الاصلية او بتولد حبوب من الخلية الاصلية كبراعم تنتأُ منها

(ثم شرح الخطيب كيفية انقسام الخلايا على حسب الاسلوب الذي شرحناهُ في الجزء الرابع من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف وقد اوضحنا ذلك بالصور المدرجة على الصفحة التالية الاولى منها صورة خليَّة نباتية فيها نواة وخيوط مشتبكة وثلاث نويَّات وخارج النواة كرتان . والثانية خلية تخنت خيوطها واستعدَّت للانفصال . والثالثة خلية تقطعت خيوطها وذهبت كرية من كريتيها الى جانب والكرية الثانية الى الجانب الآخر . والرابعة خلية صارت كل كرية من كريتيها اثنتين وكل قطعة من خيوطها اثنتين وصارت نواتها كلها في شكل مغزلي . والخامسة خلية انفصلت قطع خيوطها وكادت تنفصل كلها والسادسة خلية صارت خليتين كلاًّ منهما مثل الخلية الاصلية المرسومة في الشكل الاول. ثم انتقل الى وصف خلايا الاعصاب وقال انها لا تفرز شيئاً مثل سائر الخلايا التي تتناول من الدم او من السوائل المحيطة بها غذاءً تصيرهُ افرازاً خاصاً بالعضو الذي هي منهُ ولكنها تغتذي لتولد القوة التي تظهر من الحيوان وهي المعروفة بالقوة العصبية . وقد عرف ان في كل خلية عصبية نواةً كبيرةً ويمتد منها نتوٌّ او اكثر وان الالياف الممتدة منها اجزاءٌ جوهرية . وبعد ان اطال في وصف الخلايا العصبية وما يتفرع منها قال ما خلاصتهُ) انهُ قامت الادلة على ان نواة الخلية وسائلها يفعلان في تغذيتها فاذا كانت الخلية عاملةً زادت حجماً هي ونواتها واذا تعبت من كثرة العمل تقلصت نواتها

وصغر حجمها وتقلص السائل الذي فيها وقلت مادَّتهُ التي تتلوَّن كانها أُنفقت بالاستعمال . ومن هذا القبيل ان الحيوانات التي تشتو اذا بلغ نشاطها اقلهُ قلت المادة التي تلوَّن في خلاياها العصبية عما تكون عليهِ والحيوان مستيقظ نشيط الحركة

واذا بلغت الخلية العصبية اشدها من النمو لم يظهر انها تكوِّن خلايا أُخرى مثلها بالانقسام الباطني كما تتكوَّن الخلايا في غالب الانسجة كانَّ قوة الخلايا العصبية كلها تنفق في سبيل عملها الخاص بها لا في سبيل اخلاف نسل منها ولذلك اذا تلف جانب من الخلايا العصبية الدماغية لا يتولد غيرها عوضاً عنها كما تتولد الخلايا في العظام والاوتار

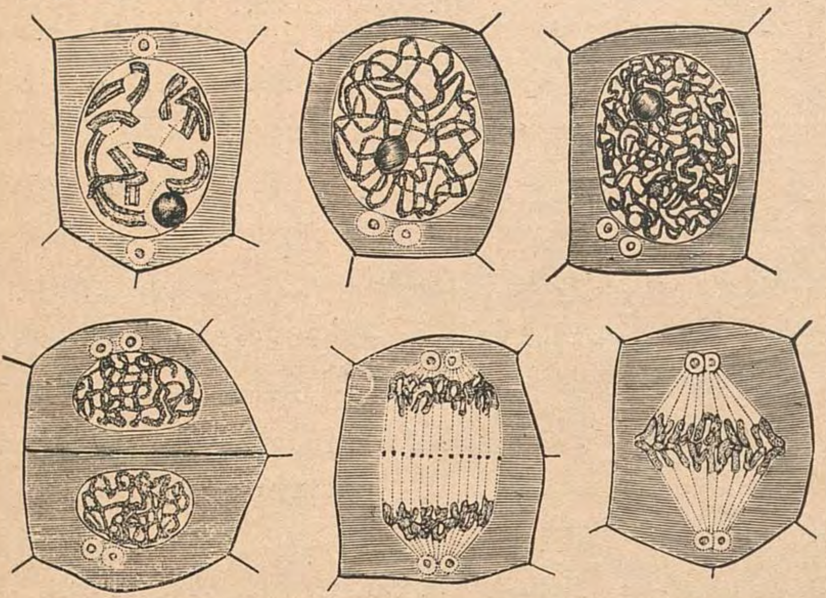

البكتيريا او الميكروبات

ابان كوهن ودوباري منذ نحو ثلاثين سنة انهُ توجد احياءٌ صغيرة سُمّيت البكتيريا او الميكروبات . وظهر انها مختلفة الاشكال بعضها نقط مستديرة وبعضها قضبان مستطيلة وبعضها متمعّج او ملتفٌّ وكلها صغيرة جدًّا لا تفحص الاَّ بالميكروسكوب الذي يكبر كثيرًا لان قطرها الاقصر ليس اكثر من جزء من خمسة وعشرين الف جزء من العقدة اي عشر قطر الكريَّة البيضاء في دم الانسان. وقد ثبت من مباحث باستور ولستر وكوخ وغيرهم من ارباب البحث ان لهذه الميكروبات شأنًا كبيرًا في الطبيعة فتفعل فعلاً كبيرًا في المواد الآلية ولاسيما ما كان منها كثير التركيب الكيماوي فتحلها الى بسائطها المركبة منها . وبذلك يكون لبعضها

فائدة كبيرة ولولاها ما امكننا الجري في كثير من الاعمال الصناعية . وللبعض الآخر اثر سيء في توليد الامراض وهو الذي يُذكَر اسمهُ اكثر من غيرهِ

وقد كثر البحث عن بناء الميكروبات وكيفية تولُّدها . فاذا بُحث عنها وهي حية وكُبّرت الفيّ ضعف ظهر الميكروب منها كذرَّة صغيرة محدودة الجوانب ولا يظهر اولاً انهُ يحيط بهِ غلاف ما . ولكن هذا الغلاف او الغشاء موجود يظهر ببعض الفواعل ومادة الميكروب داخلهُ حبيبية يمكن تلوينها ببعض الاصباغ . ولا تعلم حقيقة هذه الحبيبات حتى الآن لصغرها الفائق ولكن يرى بعض الباحثين ان الميكروب مادة بروتوبلازمية ذات حبيبات وهذه الحبيبات اجزاء من البروتوبلازم نفسهِ ومهما يكن من ذلك فالميكروب اصغر الاحياء المستقلة بنفسها التي كشفت حتى الآن

وتتكاثر الميكروبات بالانقسام اي ان الميكروب الواحد يكبر وينقسم الى اثنين وكل واحد من قسيميهِ يكبر وينقسم الى اثنين . وهذا الانقسام او التولد سريع جدًّا اذا ناسبتهُ احوال النور والهواء والحرارة والرطوبة والغذاء حتى تتولد الوف كثيرة من الميكروب الواحد في ساعات قليلة

ويتولد من كثير من الميكروبات ايضاً بزور تفرق عنها في انها تقاوم الفواعل الخارجية مقاومة شديدة ثم تنمو وتولد نوع الميكروب الذي تولدت منهُ فكأَنها وُجِدَت ليحفظ بها نوع ذلك الميكروب في احوال ينقرض بها لولا تلك البزور

وقد مضى الوقت الذي كنا نفتش فيهِ عن اصل الموجودات الحية وعن كيفية تكوُّنها من المواد غير الحية لانهُ في عصرنا الحاضر لا تتولد الاحياء الاَّ من احياء اخرى سابقة لها ولو كانت بسيطة البناء كالميكروبات او جزءًا اصليًّا في بناء الاجسام الحية كالخلية

تكوُّن البيضة

يتوقف امر الحي على خلية البيضة الملقحة التي يتولد منها فلننظر الآن قليلاً الى كيفية تكوُّن الجنين من البيضة ولنفرض انها بيضة طائر

لاحظ ولف في اواخر القرن الماضي ان ابتداء جنين الفرخ يرافقهُ تكوُّن طبقات في البيضة فتظهر اولاً طبقة سميت الطبقة المخاطية وتتلوها طبقة ثانية سميت الطبقة المصلية ثم طبقة ثالثة متوسطة بينهما سميت الطبقة الوعائية . ولم تعرف حقيقة هذه الطبقات حتى قام شوان وابان ماهية الخلايا وعلاقتها ببناء الحيوان . ونعلم الآن ان كل طبقة مؤلفة من خلايا وان كل انسجة الجسم واعضائهِ ناتجة منها وقد بحث كثيرون من العلماء في هذه الطبقات ليعلموا ما نصيب كلٍ منها في تكوين جسم الجنين ولاسيما في الحيوانات العليا فوصلوا الى هذه

النتيجة وهي ان كل نوع من الانسجة يتولد من هذه الطبقة او تلك لا يتولد من غيرها وان الطبقة الوسطى وهي الوعائية يتولد من خلاياها اكثر اجزاء الجسم فيتولد منها هيكل العظام والعضلات وغيرها من اعضاء الانتقال والجلد الحقيقي والمجموع الوعائي مع الدم وغير ذلك من الابنية . ويتولد من خلايا الطبقة الداخلة بطانة القناة الهضمية الابيثيلية والغدد المفتوحة فيها وبطانة المسالك الهوائية الابيثيلية . ويتولد من خلايا الطبقة الخارجية البشرة والمجموع العصبي . وهذا الامر الاخير من الغرابة بمكان عظيم لانهُ يتكوَّن من طبقة واحدة البشرة الجلدية التي تقي الجسم وتنسلخ قشورها كلما احتكَّ بالمناشف او بالثياب ويتولد منها ايضاً المجموع العصبي مع الدماغ وهو ارقى اجزاء الجسم . والفرق بين الخلايا التي تتألَّف منها البشرة والخلايا التي تتألف منها الاعصاب بالغ حدَّهُ لان خلايا البشرة همها الاكبر توليد خلايا اخرى بدل الخلايا التي تزول بالاحتكاك او تنقشر من الجسم وخلايا المجموع العصبي فقدت قوة التوليد على ما يظهر

وتكون خلايا كل طبقة من هذه الطبقات متشابهة في اول الامر شكلاً ويظهر ايضاً انها متشابهة بناء وخواص . ومع تقدُّم النمو يظهر الاختلاف في صفاتها ثم تتباين الانسجة التي تتكون من كل طبقة ويظهر الفرق بينها واضحاً فيكون البناء من شكل واحد في اول الامر حسب الظاهر فيصير لكل قسم منهُ شكل خاص بهِ . وفي الوقت نفسهِ تتكاثر الخلايا بالانقسام فيزيد حجم الجنين مع تولد التباين في بنائهِ ويستمرُّ ذلك الى ان يصير للجنين الشكل الخاص بنوعهِ ويصير بحيث يستطيع ان يولَد ويوجد مستقلاً

وتكون الخلايا في اول الامر متماثلة في صفاتها فتستحيل الى انسجة مختلفة بواسطة قوى ملازمة لخلايا كل طبقة من الطبقات الثلاث المتقدم ذكرها . والشان الاكبر في ذلك للنواة التي في الخلايا لانها هي التي تؤَثر في التغذية والافراز فتفعل في تنويع الانسجة . لانهُ اذا كانت الانسجة مختلفة في صفاتها كالالياف العضلية والغضاريف والانسجة الليفية والعظام تتولد كلها من خلايا الطبقة الوسطى فالامر واضح انهُ يوجد مع الاختلاف البنائي الذي يتنوع بموجبهِ شكل العضو اختلاف كيماوي يتنوَّع بموجبهِ بناؤُهُ وتظهر نتيجتهُ في الاختلافات الفسيولوجية وتصير الانسجة والاعضاء قادرة على تحويل القوَّة الحاصلة من الغذاء الى قوة عضلية او عصبية او غيرها من اشكال الافعال الحيوية . ويحدث مثل ذلك في خلايا الطبقة الداخلية والخارجية . ولذلك فدرس طبقات الخلية في الجنين يرينا كيف تكونت كل اجزاء الحيوان المركبة من الخلية البسيطة ذات النوى وهذا الدرس هو الاساس الذي بني عليهِ علم الاحياء بكل فروعهِ

واذا اردنا بالعضو في العرف البيولوجي الجسم المركب الذي يقدر ان يفعل فعلاً طبيعيًّا فالخلية ذات النوى عضو في ابسط حالاتهِ . واذا كان الحيوان او النبات قائمًا بخلية واحدة فذلك العضو في ابسط درجاتهِ. والحيوانات والنباتات العليا مكونة من كثير من هذه الاعضاء ولكل عضوٍ منها حياة يستقلُّ بها وحياة يرتبط بها بغيرهِ لكي تعمل كل هذه الاعضاء معًا بالاتفاق لغرض عام وهي مثل المغازل في المعامل فان كلاًّ منها يدور وحدهُ مستقلاًّ عن غيرهِ وكلها تعمل معًا في غزل الخيوط التي ينسج النسيج منها.

وقد اقتضى ايصال ما نعرفهُ عن بناء انسجة الحيوان والنبات واعضائهما الى ما وصل اليهِ الآن بحثًا متواصلاً اكثر من خمسين سنة (وهنا ذكر الخطيب اسماء الذين لهم الباع الاطول والفضل الاكبر في هذه المباحث وسيأْتي الكلام على تتمة خطبتهِ في الجزء التالي)

البوم وطباعهُ

البوم طائر الشؤْم وناعي الخراب تسمع صوتهُ في الليلة الظلماء فتتذكر ما قصتهُ عليك جدتك في صباكِ من قصر تردَّد عليهِ البوم ينعب في شرفاتهِ فلم يعتم ان مات اهلهُ وتقوَّضت اركانهُ وبيت وقع البوم على سطحهِ وانذر ساكنيهِ بالخراب فدبَّ فيهم الفناء وانقرضوا عن آخرهم . وقد يخطر على بالك ماجاء في كتاب سراج الملوك وهو " ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميرًا لهُ يحدثهُ فكان في ما حدثهُ بهِ ان قال يا امير المؤْمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها فقالت بومة البصرة لا افعل الاَّ ان تجعلي لي صداقها مئة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلَّمهُ الله علينا سنة واحدة فعلتُ لكِ ذلك " فتقول في نفسك ان البوم لم تُرْبَط صورتهُ بالخراب لانهُ نذير بهِ بل لانهُ يقيم فيهِ ليأْكل ما يجدهُ من الجرذان وصغار الحيوان ولكن يبقى الوهم الاول سائدًا على النفوس فلا يسمع العامَّة صوت البوم الاَّ تعوذوا منهُ ولا يسمعهُ الخاصَّة الاَّ تذكروا اقاصيص العجائز

وشكل البومة معروف تمتاز بهِ عن غيرها من الطيور وكذلك هيكلها العظمي واخص ما تمتاز بهِ ظاهرًا اتساع عينيها ودائرتان كبيرتان حولها ولبعضها قرنان من الريش في رأْسها كما ترى في الشكل التالي. وهي طائر ليلي يطير ليلاً وينام نهارًا ويبهرهُ النور في النهار لكن بعضها يطير نهارًا وينقضُّ على فرائسهِ في عين الشمس . وبيضها ابيض مستدير وفراخها تولد مغطاة

بالزغب وانواعها كثيرة عُدَّ منها نحو مئتي نوع بعضها كبير جدًّا في حجم النسر وبعضها صغير في حجم السماني . وهي منتشرة في كل اقطار المسكونة من الاصقاع القبطية الى جزائر المحيط

وطعام البوم لحوم الحيوانات الحية التي تصطادها من الفيران والجرذان والارانب والطيور والحشرات وهي تطلب فرائسها ليلاً فتدنو منها خفية وتطير اليها طيرانًا لا يسمع لهُ صوت لكثرة ريشها والاَّ فلو اشتدَّ صوت طيرانها لدرت بها الفرائس وهربت من وجهها . وغالبها يعشش في الاشجار لكن بعضها يعشش بين الصخور وعلى الرمال وفي البيوت والخرب ومن ذلك قول بعضهم

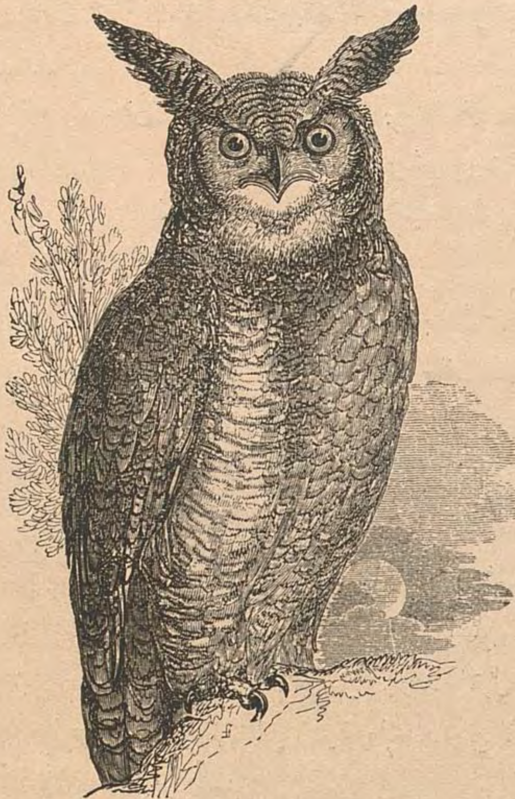

يا قصر جمّع فيك الشوم واللومُ متى يعشش في اركانك البومُ

ولما كان اكثر طعامها من الفيران والجرذان فنفعها لاهل الزراعة اكثر من ضرها . واشهر انواعها بوم الاهراء وهو منتشر في اكثر الاقطار ومن غريب امرهِ ان انثاهُ وذكرهُ يحضنان البيض معًا في وقت واحد جانبًا منهُ تحضنهُ الانثى وجانبًا يحضنهُ الذكر وقد اخذ بعضهم بيض البوم وابدلهُ ببيض الدجاج فحضنتهُ البومة الى ان ظهرت الفراخ منهُ . ومنها نوع اميركي

صغير الحجم جدًّا كانهُ العصفور. كتب بعضهم يقول انهُ رأى بومةً منهُ تسكن في تجويف شجرة من السنديان هي وسنجاب وهما على اتم الوئام والائتلاف وكثيرًا ما يدخلان الثقب الموصل اليهِ في وقت واحد. والبومة القرناءُ المرسومة في الصفحة المتقدمة منتشرة في اوربا كلها حتى الدرجة ٤٦ من العرض الشمالي وفي الجهات الشمالية من افريقية وتبلغ بلاد الصين واليابان شرقًا وتكاد تكون من الطيور القواطع. وطعامها الفيران والجرذان مثل غيرها من انواع البوم وقد توجد في عشاشها اقدام الارانب وفضلات الضفادع والغالب انها تغتصب وكر السنجاب وتبيض فيهِ

والبوم الذي نسمع صوتهُ بعض الليالي في القاهرة من البوم الصغير وهو ليلي مثل غيرهِ من انواع البوم لكنهُ قد يطير ويصطاد نهارًا وكثيرًا ما نراهُ على شرفة بيت مجاور لنا بُعيد غروب الشمس ونسمع صوتهُ في اكثر الليل ولعلهُ النوع المشهور في اقاصيص العرب الذي سموهُ بالهامة والصدى وهو الوارد في قول توبة الحميري

ولو انَّ ليلى الاخيلية سلَّمت عليَّ ودوني جندل وصفائحُ
لسلمتُ تسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائحُ

قال الجاحظ "وانواع البوم الهامة والصدى والضوع والخفاش وغراب الليل والبومة وبعضها يصيد الفار وسام ابرص والعصافير وصغار الحشرات وبعضها يصيد البعوض ومن طبعها ان تدخل على كل طائر في وكرهِ وتخرجهُ منهُ وتأكل فراخهُ وبيضهُ وهي قوية السلطان بالليل لا يحتملها شيءٌ من الطير ولا تنام بالليل فاذا رآها الطير بالنهار قتلنها ونتفنَ ريشها للعداوة التي بينهنَّ وبينها" ونقل المسعودي عنهُ "انها لا تظهر في النهار خوفًا من ان تصاب بالعين لحسنها وجمالها ولما تصوَّر في نفسها انها احسن الحيوان لم تظهر الاَّ بالليل". وهذا القول الاخير من السخائف التي حواها كتاب الجاحظ على ما فيهِ من الحقائق العلمية ولبعدها عن المعقول والمألوف نظن اكثرها مدخلاً فيهِ ادخلهُ النسَّاخ جهلاً منهم

ومن البوم نوع كبير كاسر يسمى البوم الباشقي ونوع آخر اكبر منهُ واشرس يسمى البوم النسري وهذا كثير في اسيا واوربا وشمالي افريقية وهو يصطاد الارانب واذا عُثر عليهِ في النهار نفش ريشهُ تخويفًا لمن يدنو منهُ ويقال انهُ يغلب النسر بقوتهِ وشراستهِ وتجتمع عليهِ الطيور الصغيرة اذا ظهر نهارًا والغراب في مقدمتها وهذا ينطبق على ما ذكرهُ الجاحظ وغيرهُ من كتاب العرب من اجتماع الطيور على البوم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الارغونوت

حضرة منشئ المقتطف الزاهر

اجابةً لاقتراحكم عليَّ اصف لقراء مجلتكم نزولي الى الباخرة ارغونوت وتناولي الغداء فيها وهي في قلب البحر وبقائي نحو ساعتين تحت الماء فاقول: كنت في الصيف الماضي في مدينة بردجبورت وهي تبعد نحو مئة ميل عن نيويورك حيث كنت اصنع الآلات التي استنبطتها للكتابة العربية وهي مدينة المعامل. وذات يوم جاءني مدير المعمل وناولني رقعة دعوة يقال فيها "تفضلوا للغداء تحت الماء" فدهشت من هذا الخبر لانني لم اكن اعلم شيئاً من امر هذا الاختراع وذهبت مع مدير المعمل فوجدنا نخبة من موظفي الحكومة ورؤساء المعامل ينتظروننا

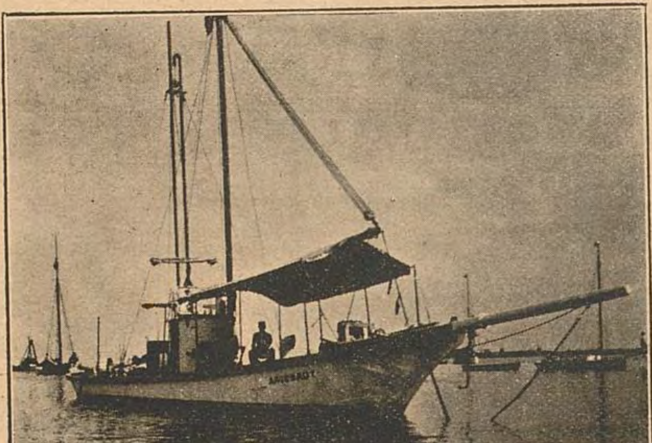

في سفينة صغيرة تشبه القارب البخاري الكبير لا يستدل من هيئتها الظاهرة علي شيءٍ مما يدعيهِ مخترعها

فنزلنا الى هذه السفينة وابعدت بنا عن البر الى ان بلغنا مكاناً عمق الماء فيهِ ٣٢ قدماً (نحو عشرة امتار) فوقف المخترع وقال اننا سننزل الآن الى قاع البحر فهل انتم مستعدون لذلك فأَخذ كلٌّ منا ينظر الى وجه غيرهِ وهو بين مصدق ومكذب . وفي السفينة انبوب كبير كمدخنة السفن البخارية كما يرى في الشكل المتقدّم فصعدنا الى اعلاهُ ونزلنا فيهِ الى اسفل السفينة . واذا جوفها اسطوانة كبيرة من الحديد أُوقدت فيها الانوار الكهربائية وفي مقدمها آلات عديدة وفي وسطها مقاعد على الجانبين وفي مؤَخرها غرفتان الواحدة بعد الاخرى جدرانهما وابوابهما من الحديد وفي قاع احداهما حوض فيهِ بعض الماء قيل لي انهُ الباب الذي يفتح الى البحر فلا يدخل الماء منهُ وفي الحاجز الذي بين الغرفتين كوى من الزجاج حتى يرى مَن في الغرفة الواحدة مَن في الغرفة الاخرى

وأُقفلت كل نوافذ السفينة وجعل المخترع يسحب الماء من البحر بطلمبة كبيرة ويصبهُ في الفراغ الذي بين ظاهر الاسطوانة التي نحن فيها وجدران السفينة وللحال اخذت السفينة تغوص في البحر غوصاً عمودياً بطيئاً الى ان رست في قاعهِ ولها في اسفلها ثلاث عجلات فوقفت عليها . وكان الهواء يتجدد في الاسطوانة من انبوب طويل ممتد من السفينة بقي طرفهُ الاعلى فوق سطح الماء وتركنا هناك قارباً صغيراً وقف فيهِ رجل يمنع مرور البواخر فوقنا ويخاطبنا ونخاطبهُ بتلفون

وشرح لنا المخترع تفاصيل اختراعهِ واختارني مع محافظ المدينة (١) لنرافقهُ ونرافق احد الغواصين الى الغرفة الاخيرة التي تفتح في البحر فلا يدخلها الماء فدخلناها معهُ واقفل الباب الموصل منها الى الغرفة الاولى واخذ المخترع يملأُ غرفتنا بالهواء المضغوط فضاقت انفاسنا واخذت آذاننا تطن فاشار الينا ان نبلع ريقنا مراراً ففعلنا وبعد نحو خمس دقائق زال ما كنا نشعر بهِ من ضيق النفس وطنين الاذنين وشعرنا براحة تامة غير ان آذاننا ثقل سمعها فصرنا نضطر ان نرفع اصواتنا لكي نسمع ما نتكلم بهِ . ثم قال المخترع للغوَّاص افتح باب الحوض ولما قال ذلك خفق فؤَادي ونظرت الى المحافظ فرأَيتهُ مضطرباً لكنني عدت فقلت في نفسي ان المخترع معنا ولا يمكن ان يخاطر بحياتهِ . وفتح الغواص الباب ولم يدخل منهُ الماءُ لان الهواء الذي في غرفتنا كان يمنعهُ من الدخول . ومددت يدي الى قاع البحر والتقطت بعض الاعشاب والحجارة وانا بين

---

(١) سقط سطر من الخبر الذي ذكرناهُ في الجزء الماضي فظهر ان المحافظ هو محافظ نيويورك

مصدق ومكذب ورأيت الاسماك تمرح في تلك المياه البلورية الخضراء ونور الشمس يصل الى قاع البحر على ذلك العمق فينير ظلمتهُ والاَّ فلا تتعذر انارتهُ بالنور الكهربائي . رأيت هناك منظرًا لا انساهُ مدى العمر ولم يخطر ببالي قبلاً انني احظى بهِ يوماً من الايام ولا سيما لانني لا استطيع السباحة

ولبس الغواص ثوبًا خاصًّا ونزل من هذا الباب وجعل يمشي حول السفينة ويلتقط من حجارة البحر واعشابهِ ورفاقنا في الغرفة الاخرى ينظرون اليهِ والينا من الكوى الزجاجية التي في غرفتهم . ثم رجع الينا واقفل الباب وجعل المخترع يغير هواء الغرفة التي نحن فيها ويعيدهُ الى حالتهِ الاولى من الضغط فامتلأَت اولاً ضبابًا نحو عشر دقائق ثم صفا هواؤُها وفتح الباب الذي بينها وبين الغرفة الاولى وعدنا الى رفاقنا مدهوشين مما رأَينا . واكتفوا هم بما رأَوا لانهم شاهدونا من الكوى الزجاجية كأَنهم كانوا معنا . وحينئذٍ مُدَّت لنا مائدة من الطعام الفاخر فاكلنا وشربنا كأَننا في فندق على البر لا في جوف البحر

ثم سارت بنا السفينة في قاع البحر على عجلاتها الثلاث مسافة نصف ميل وكنا قد كلمنا الرجل الذي في القارب لكي ينتقل معنا بقاربهِ ففعل . حتى اذا انتهت هذه السياحة الغريبة في قاع البحر فرَّغ المخترع الماء من حول الاسطوانة فصعدت السفينة بنا رويدًا رويدًا الى وجه الماء وهنأْنا بعضنا بعضاً بالسلامة وهنأْنا المخترع بنجاحهِ التام في اختراعهِ . وقد اقمنا تحت الماء اكثر من ساعتين وكنا نستطيع ان نقيم ساعات كثيرة

والَّف المخترع شركة بعد ذلك باسبوعين للتفتيش عمَّا في قلب البحر من الكنوز وما فيهِ من التحف التي كانت في ما غرق فيهِ من السفن

مصر سليم حداد

تنازع البقاء والتعاون

استفهام

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

سأَلكم اديب من قراء المقتطف عمَّا اذا كان ناموس تنازع البقاء يقضي على الانسان باستخدام كل ما يراهُ ممكناً لنيل ما يطلبهُ سواءٌ عمد الى القوة او الحيلة (انظر السؤَال ٢٠ من مقتطف نوفمبر) واشار الى انَّ المخادعة المنتشرة في الناس ممقوتة في شرع الآداب ثم استطلعكم رأيكم في حلّ مسئلتهِ وهي أَيجب على الانسان ان يتبع حكم الآداب والفضائل

او ناموس التنازع هذا الذي يقتضي الجهاد والتغلب على الغير بكل واسطة ممكنة

فقلتم في الجواب ان ناموس التنازع لا يوجب على المرء ان ينازع ابناء نوعهِ بل يوجب عليهِ ان يستعين بهم على الانتفاع بجماد الارض ونباتها وحيوانها وختمتم الجواب بقولكم ”وجملة القول انهُ يجوز للانسان ان يخادع الحيوان ويحتال على النبات لاجل معيشتهِ ولكنهُ لا يجوز لهُ ان يخادع ابناء نوعهِ بل يجب عليهِ ان يعاونهم ويستعين بهم“ واردتم بذلك على ما ارى، اجابة حضرة السائل عن بعض سؤالهِ المختص بالآداب فهل تأذنون لي في استزادة الايضاح ولا زلتم منبعاً للفضل وموردًا لطلاَّب العلم

يلوح لي انكم لو خُيرتم في انتقاء اسم لهذا الناموس لاخترتم تسمية هكسلي لهُ كما فعلتم في مباحثكم السالفة في المقتطف حيث دعوتموهُ بقاء الانسب واستخرتموها على تسمية دارون اي تنازع البقاء او الوجود لانَّ هذا التنازع لا بدَّ ان يشتمَّ منهُ رائحة خصام ونزاع مستمرَّين بين افراد النوع الواحد او بين افراد نوع ونوع كما استشعر بذلك حضرة السائل الاديب ولا مشاحة في انَّ هذا النزاع واقع بين الكائنات الحية على تباين انواعها ومنازلها من الشدة والضعف وهو وان كان لا يشاهد في بني البشر في الشدة التي بدا بها في العصور السالفة فما ذلك الاَّ لانَّ منافعهم ومعايشهم وتمدنهم تقضي عليهم بالاخلاد الى السكينة ما استطاعوا او لان ناموس التعاون قد دمث اخلاق البشر كما قلتم فانصرف همهم عن القتال والحرب الى النزاع في الاخذ والعطاء والتجارة وجميع ما نميزهُ بلفظة ادبيًّا حتى ان ذلك كثيرًا ما يدعوهم الى امتشاق الحسام وتحكيم البنادق كالذي نشاهدهُ في الحروب الحديثة اي ان هذا الخلق الموروث لم يضعف فيهم لكنهُ تحوَّل بقوتهِ الى وجهةٍ اخرى . ومهما قيل في انتشار ناموس التعاون والتعاضد فلا ريب في انَّ ناموس بقاء الانسب متسلط على الكائنات من البشر وغيرهم والناس لهُ مساعدون مباشرون كما في مثيري الحروب او قد تكون مساعدتهم لهُ توليديةً كما هو واقع في انقراض سكان جزر الباسيفيك الاصليين وهنود اميركا بعد ان جاورهم البيض

فاذا صحَّ ما تقدَّم كان الانسان غير مخير في اكفاء مطامعهِ وشهواتهِ بمنازعتهِ اخوانهُ من بني جنسهِ او مناجزتهِ الحيوانات البكم فاذا جرى على قول صاحب الناقة الذي استشهدتم بشعرهِ كان بعملهِ هذا مخالفًا لطبيعتهِ وكان مثلهُ مثَلَ الذي يبيت اربعين يومًا على الطوى فانهُ يستطيعهُ لكنهُ ليس من خلقهِ ولا من طبيعة البشر وما استطاعتهُ اياهُ بدليلٍ على افضليتهِ فكأنَّ المسئلة لم تزل حيث كانت اي ان الآداب تحرِّم علي المرء منازعة غيرهِ (واذا شئتم فمخادعتهُ) لاحراز النفع لنفسهِ وطبيعتهُ تدفعهُ الى ذلك بدوافع وقابليات لابدَّ لهُ من اكفائها

وفي اكفاء بعضها علي الاقل قوام حياتهِ اذ المفروض في هذه الحالة ان كل ذي مُلكٍ شحيج بملكهِ حريصٌ عليهِ لا يطرحهُ ما لم يرَ في اطراحهِ نفعاً يغتنمهُ (ويختلف هذا النفع باختلاف الاشخاص والاحوال والغايات) او ان تكون هنالك قوةٌ تجبرهُ على اطراحهِ او تغتصبهُ منهُ ولا ادري ما الذي يدفع بعض الناس الي عدّ الايثار ناموساً طبيعياً مع انهُ غير عامٍّ وجلُّ ما يقال فيهِ انهُ قاعدة ادبية موضوعة (هذا في البحث العلمي) فاذا تحاكَّ التنازع والايثار كان للأَول المنزلة الاولى والشأن الاكبر لانهُ من النواميس التي يصعب خرقها الاَّ في النادر

نعم إنَّ التاريخ لا يخلو من اخبار الذين بذلوا دماءهم وجادوا بالنفوس والاموال فداءً لاوطانهم ومرضاةً لمن يحبُّون وانما يستطاع ردّ هذا الجود وذاك البذل الى اكفاء عاطفةٍ فيهم دفعتهم الى فعل ما فعلوهُ ويؤيّد هذا الظنّ ما نعلمهُ من أنَّ كثيرين منهم لم يتهيأْ لهم النظر في الفائدة العائدة لبلادهم او لأَحبائهم من عملهم قبل ان فعلوهُ الاَّ فيما ندر كالذي رُوي عن احد ملوك اثينا في فجر تاريخها فانهُ تنكَّر ودخل المعمعة بغية ان يقتلهُ الاعداء خطأً لأَنَّ في قتلهِ خلاص مدينتهِ كما كان النبيّ قد سبق فاخبرهُ واخبر اعداءهُ . لكنَّ هذا الحديث وامثالهُ قليلة الوجود وبعضها كهذا داخلٌ في باب الحكايات والاقاصيص التي تروى للذتها وفكاهتها لا لصدقها والاغلب ان يقتل المرءُ غيرهُ دفاعاً عن حياتهِ . ولا مشاحة في ان الوجه الآخر مؤَيد بما نراهُ من اهتمام الكثيرين من الافاضل ببذل اموالهم وانفاسهم في نفع الناس وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين وجوب الاقطار والفيافي في صنع المعروف والخير لكنَّ نسبة هؤلاء الى سائر البشر قليلة ضعيفة حتى لا تكاد تحسب كافية للاستشهاد بما يفعلون في هذا المقام لانهم اقلية عظيمة

واَمَّا قولكم ان الانسان يجوز لهُ مخادعة الحيوان فاعدُّهُ من باب المشاكلة في لفظة المخادعة او انكم تحسبون الانسان ممتازًا في عين الطبيعة عن الحيوان وهو ما لا يسلّم بهِ فانَّ انانيتنا تمثّل ذلك لنا وساعدنا علي تأكدهِ ما فقنا بهِ الحيوان الاعجم من سموّ الادراك ودقَّة النظر اللذين لم يبلغا فيهِ مبلغهما فينا واما الطبيعة فلا ترى رأينا فاذا صحَّ ما قلتم وحقَّ للانسان ان يخادع الحيوان وقصدتم بالمخادعة معناها الموضوعة لهُ وكان تخويلكم الانسان هذا الحقَّ مبنيًّا على ناموس مقرَّر او كان الواقع كما هو فعلاً فعلامَ لا يجوز للانسان ان يخادع غيرهُ من بني نوعهِ مخادعةً توقع بالآخر ضررًا مباشرةً او توليدًا وهل في نواميس الطبيعة العامة ما يخصُّ الانسان و ينفرد بهِ عن الحيوان لانهُ يختلف عنهُ بانتصاب قامتهِ وعرض اظفارهِ وكونهِ ناطقًا حتى يمتاز بهذه

ثمَّ ان هذا التعاون الذي تشيرون اليهِ لا إخالهُ الاَّ طلاءً جميلاً وهو واقع بين بعض الافراد البالغين من التمدن مبلغاً عظيماً لكنهُ بعيد من ان يكون عامًّا ومن المعلوم انَّ الواقع والمشاهدات من اكبر الادلة على وجوب وجود الناموس فان الواقع والمشاهدات كانت السبيل الوحيد لاكتشاف النواميس الطبيعية وهي الطريقة الوحيدة لتمحيصها واكبر ما نراهُ من الشواهد في عصرنا على صحة ما تقدم هذه المطالب التي تطلبها دول اوربا من الصين فانها تبتغي اعدام بعض كبار تلك السلطنة لتثأر مَن قُتِل من ممثليها ورعاياها ولتعيد الأَمن الى بلاد لمتاجرها فيها اسواقٌ واسعة ولبضائعها رواج عظيم. ومعلوم ان القتل ممنوع ديناً وأَدباً وهو مما تنفر منهُ نفس المتمدن لا سيما ما كان منهُ أَخذاً بثأر بيد أن نفوس أُولي الامر من الاوربيين لم تنقبض منهُ وهم صفوة المتمدنين وخيرة المتأَدبين وجميعهم من الذين نشأُوا على الاعتراف بفضل الآداب والمجاهرة بانكار النفس والغيرية الى آخر تلك الطنطنة. واما رجوعهم عن طلبهم اعدام من ذكرنا فاذا حدث فالأَغلب فيهِ ان يكون سببهُ عجزهم عن القبض عليهم او ايقانهم بأَن هذا الاعدام لا يكفل لهم قضاء وطرهم ونيل لبانتهم فيما يرجونهُ من اعادة المياه الى مجاريها وليس للآداب دخلٌ في احد هذين

هذا وانني اعترف بوعورة المسئلة ودقتها والتمس العذر لنفسي في الخوض فيها بما ارومهُ من الوقوف على الحقيقة واشارك حضرة الاديب السائل في الوقوف على باب مقتطفكم الاغرّ استزيدكم ايضاحاً لما اراهُ من التعقيد فيها

اسيوط في ٤ دسمبر ١٩٠٠ خليل ثابت

[المقتطف] نشكر فضلكم على توجيهكم اذهان القراء الى هذا الموضوع الهام. وبعدُ فانكم تجدون في هذا الجزء مقالة لاحد اصدقائكم تصحّ ان تكون جواباً لاستفهامكم. وقد كتبنا فصلاً وجيزاً في المجلد العاشر في اصل الآداب والفضائل يبين منهُ كيف تولَّدت الغيرية في نوع الانسان اي يبين اصلها الطبيعي وسنعيد نشرهُ في الجزء التالي لانهُ وقع في تركيب صفحاتهِ حينئذٍ خطأٌ اخلَّ بمعناهُ ولم ننتبه لهُ الاَّ الآن. ونحن نوافقكم في ان الانانية ناموس متسلط على البشر وهي متقدمة على الغيرية كما قلنا وفي ان الذين يدَّعون الغيرية لا يفرق جمهورهم عن غيرهم. وكثيراً ما نقف مثلكم نفكر في مطالب هذه الدول وما تدَّعيهِ من الرغبة في الانصاف والانتصاف ولكننا نعود فنقابل احوالها باحوال ملوك المشرق والمغرب السالفين من حين كُتب التاريخ الى الآن فنرى ان دول هذا العصر تفوق الدول السالفة آداباً وفضائل. اين ما تفعلهُ جنودها الآن مما فعلتهُ جنود رعمسيس والاسكندر وقيصر وجنكيز خان وتيمورلنك او ممَّا

فعلتهُ جنود بونابارت منذ مئة عام . وقد نشأَت الغيرية في نوع الانسان بُعَيْد الانانية ومذهب سبنسر انهما نشأَتا سويةً قال في الفصل الثاني عشر من المجلد الاول في اصول الآداب ما ترجمتهُ "اذا عرَّفنا الغيرية بانها كل الاعمال التي لا يعود نفعها على عاملها بل على غيرهِ فقد كانت من فجر الحياة لازمة كالانانية والانانية متوقفة عليها كما هي متوقفة على الانانية" . وفي ما ترونهُ يوميًّا من ايثار الام طفلها عليها سواءٌ كان ذلك في الانسان او في العجماوات دليل على ان الايثار ناموس طبيعي عام

هذا من حيث القسم الاول من السؤال ولما كان ناموس تنازع البقاء "او بقاء الانسب" يوجب على الانسان ان يستعين بابناء نوعهِ لان اهل التعاون اصلح من غيرهم للبقاء اقتضى ان تكون هذه الاستعانة على شيءٍ تقوم بهِ حياة الانسان ويحفظ نوعهُ وهو الحيوان والنبات والجماد للغذاء ولقضاء سائر الحاجات فاضطررنا ان نفرّع على القسم الاول هذا القسم الثاني. ونريد بمخادعة الحيوان الاحتيال على صيدهِ او على استخدامهِ للانتفاع بلبنهِ وصوفهِ وقوّتهِ . وهو وحشي بطبعهِ لا يخضع لنا ما لم نغلبهُ او نخابهُ وهذا الخضوع لا يضرُّ بهِ لان الحيوانات الوحشية ليست انعم حالاً من الحيوانات الاهلية

باب الزراعة

التعليم الزراعي في فرنسا

خلاصة المنشور الذي نشرتهُ نظارة المعارف الفرنسوية ارشادًا لمعلمي المدارس في تعليم الطلبة مبادئ العلوم الزراعية وما تبنى عليهِ

ارشادات للمعلمين

ان التعليم الزراعي الذي يمكن ادخالهُ الى المدارس الابتدائية يجب ان يقصد بهِ تنوير ذهن الطالب لا جعلهُ يحفظ القواعد غيبًا . ويجب ان يُبنَى على مشاهدة الاعمال الزراعية التي تعمل كل يوم وعلى التجارب البسيطة التي يسهل عملها في المدارس الابتدائية وتوضح بها المبادئ العلمية التي تُبنى عليها اهم الاعمال الزراعية . ولا بدَّ من ان يتعلّم التلامذة سبب هذه الاعمال ولكن لا يطلب منهم ان يتعلموا شيئًا من القواعد والحدود والتفاصيل . ولا بدَّ لكل من

يعيش من الزراعة ان يعرف ما يلزم لنمو النباتات ويفهم اسباب الاعمال الزراعية التي يعملها والشروط اللازمة لصحة الانسان والحيوان وذلك كلهُ لا يُعلَم الاَّ بالتعليم المقرون بالامتحان

والمعلم الذي يكتفي بتعليم تلامذتهِ كتاباً زراعيًّا حتى يحفظوهُ غيباً لا يفيدهم شيئاً مهما كان الكتاب وافياً بالموضوع اذ لا بدَّ للفائدة من الاعتماد على الامتحان والمشاهدة

ومن المقرَّر ان التلامذة لا يتعلمون كيف يشاهدون ويستفيدون مما يشاهدونهُ ما لم يروا الاعمال بعيونهم ويُرشَدوا الى الحقائق التي تستنتج منها . ويكتفى في المدارس الابتدائية بإعداد التلامذة للاعمال التي ينالون معيشتهم بها وترغيبهم فيها . ولا يرغب العامل في عملهِ ما لم يفهمهُ

والخلاصة انهُ يقصد من التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية جعل التلامذة يستفيدون من الكتب الزراعية اذا قرأُوها ومن الخطب الزراعية اذا سمعوها ويحبون الاعمال الزراعية ويفضلون المعيشة في الاباعد والمزارع على المعيشة في المدن والمعامل واقناعهم بان الزراعة افضل المعايش واكثرها ريعاً للذين يستعملونها بالاجتهاد والاعتناء عن فهم ودرية

ويحسن ان تملَّح الدروس كلها بملح الزراعة فتكون قصص كتب القراءة في المواضيع الزراعية ومسائل كتب الحساب في امور زراعية والاشعار التي يقرأُها التلامذة او يستظهرونها في مواضيع زراعية فان ذلك كلهُ يفيد في جعل التلامذة يألفون الزراعة ويحبونها

ويقسم تدريس المبادىء الزراعية الى ثلاثة اقسام

الاول الابتدائي وهو للتلامذة الذين سنهم بين السابعة والتاسعة

والثاني المتوسط وهو للتلامذة الذين سنهم بين التاسعة والحادية عشرة

والثالث العالي وهو للتلامذة الذين سنهم بين الحادية عشرة والثالثة عشرة

والتعليم في القسم الابتدائي هو استطراد التعليم في مدارس الاطفال فيكون بستان المدرسة لتعليم الاشياء التي تعلم في تلك المدارس. والتعليم في القسم المتوسط سنتان على الاقل يعلم التلميذ في السنة الاولى منهما مبادىء العلوم الطبيعية ولا يعلم مبادىء العلوم الزراعية حقيقة الاَّ في السنة الثانية ولكن يقتصر في التعليم فيها على المطالعة ورؤية الاشياء الزراعية ووصفها والمشي في الحقول ومشاهدة ما فيها

وهاك وصف ما يُعلَّمهُ في القسم المتوسط والعالي

القسم المتوسط

في النصف الاول من السنة الاولى يُعلم التلميذ اولاً ان المادة توجد في ثلاث حالات

جامدة وسائلة وغازية وذلك كلهُ بالتجارب المختلفة مثل وضع كوبة في الماء لاظهار الهواء الذي فيها حتى يشعر بهِ اما بخروج الابواق من الكوبة او بما تجدهُ اليد من الصعوبة في انزال الكوبة في الماء اذا كان فمها الى اسفل . او بادخال الهواء الى كوبة مملوءة ماء بواسطة منفخ او بالنفخ بانبوب فيخرج الماء منها حين دخول الهواء اليها . ويستحضر البخار بتسخين الماء ويعاد ماء بتبريدهِ . ويستحضر الاكسجين باحماء كلورات البوتاس واكسيد المغنيس وتمتحن خواصهُ . ويمتحن الهواء بحرق الفصفور فيهِ فيوجد خمسهُ اكسجينًا الخ

ويعلَّم ثانيًا شيئًا عن الحيوان فينبَّه الى الاختلاف بين اصناف الكلاب والى الفروق بين الخيل والحمير والى طبائع الدجاج ومجيء الطيور القواطع ورواحها ويُرَى كيف تتولد الضفادع والديدان والنحل . ولا بدَّ من كتب توصف فيها طبائع هذهِ الحيوانات وصفًا بسيطًا فتقرأُ قراءة كانها دروس للقراءة

ويُعلَّم ثالثًا وصف جسم الانسان وكيفية تنفسهِ واغتذائهِ ويرشد حينئذٍ الى كيفية الاعتناء بصحتهِ

وفي النصف الثاني من السنة الاولى تكون النباتات قد كبرت وازهرت فيؤْتى بها الى المدرسة او يذهب المعلم وتلامذتهُ الى البساتين والمزارع فيشرحها لهم ولا يحسن بهِ ان يشرح لهم امرًا علميًا عن النبات من غير ان يروهُ بعيونهم . ويرى التلميذ كيف تنبت البزور وتمتد الجذور منها الى اسفل ويعلو النبات وتتولَّد اوراقهُ وذلك بزرع بعض البزور مثل العدس والفول والحمص في صحاف على قطن مبلول . وتشرح لهُ الازهار حتى يرى اعضاءها المختلفة ويميز بعضها من بعض . ويعلم كيفية رسم اعضاء النبات المختلفة اوراقهِ وازهارهِ واثمارهِ وبزورهِ

ويعلم في السنة الثانية كيفية احتراق الفحم ويمتحن امامهُ تولُّد غاز الحامض الكربونيك بالاحتراق ووجود هذا الغاز في الحجارة الجيرية . ويصنع الجير امامهُ بحرق الطباشير ويرى كيف خسر الطباشير من ثقلهِ بذهاب الغاز منهُ ويرى فعل الماء بالجير الحي وخواص الجير المطفا وخواص ماء الجير . ويعاد الجير الحي امامهُ الى كربونات الجير

ويغسل التراب امامهُ ويفصل بين ما فيهِ من الطين والرمل بالغسل وبالفواعل الكيماوية ويمرَّن على الفصل بينها بيدهِ . ويرى الفرق بين الاتربة المختلفة وتأثير السماد بالمزروعات بزرع بزور في تراب غير مسمد وبزور اخرى في تراب مسمد في آنية صغيرة توضع في المدرسة

اما التعليم في القسم العالي فموادهُ الزراعية كثيرة ولذلك ارجأْنا الكلام عليهِ الى الجزء التالي

كيف ترتقي الزراعة

وصفنا في الجزء الماضي اندية الزراعة عند اهالي الولايات المتحدة الاميركية والطرق التي يستخدمونها لتوسيع المعارف الزراعية كالاشتراك في امتحان انواع السماد ونشر الكتب الزراعية وترخيص ثمنها حتى يستطيع كل احد ان يشتريها واقامة اناس مثل اساتذة يسألهم الفلاحون كتابة عمّا غمض عنهم وعسر عليهم فهمهُ ونحو ذلك وبقي الكلام على تعليم المبادىء الزراعية في المدارس الابتدائية

اهتمَّ الراغبون في تقدُّم الزراعة منذ عهد طويل بادخال التعليم الزراعي الى المدارس الابتدائية وطلبوا من الحكومة الاقرار على ذلك فاقرَّت عليهِ في بعض الولايات ولكن على غير جدوى لان التعليم الزراعي مبني علي بعض العلوم العالية كالكيمياء والجيولوجيا والفسيولوجيا النباتية والحيوانية وهذه العلوم لا يمكن تعليمها للاحداث في المدارس الابتدائية ولا كان المعلمون قادرين علي ايضاح مبادئها للتلامذة مما يشاهدونهُ حولهم فكان لا بدَّ من تغيير نظام التعليم كلهِ حتى يسهل ادخال العلوم الزراعية الى المدارس الابتدائية . وقد تمَّ ذلك الآن في الولايات المتحدة فصار اساتذة العلوم الزراعية يعلمون الشبان في مدارس المعلمين مبادئ العلوم الزراعية على حسب الاصول الطبيعية من غير التجاء الى كتب التعليم وبذلك يتمكنون متى صاروا معلمين من تعليم التلامذة في المدارس الابتدائية مبادىء العلوم الزراعية

والفائدة الاولى التي تنجم عن تعليم التلامذة مبادىء العلوم الزراعية في المدارس الابتدائية ترغيبهم في الزراعة منذ نعومة اظفارهم فيشبون محبين لها . وهذه المبادئ تقتصر اولاً على شرح الامور الطبيعية وقد طبعت اوراق أُرسلت الى المعلمين ترشدهم الى كيفية شرح الامور الطبيعية ومن اول اغراضها اغراء التلامذة بالانتباه الى الطبيعة التي يرونها حولهم الى الاشجار والازهار والطيور والحشرات والهواء والغيم والنور والحرارة فان عين الصغير تقع على هذه الاشياء لكنهُ لا يراها لانهُ لا ينتبه اليها فيكون من اول اغراض المعلم ان ينبههُ اليها ومتى تمرَّنت فيهِ قوَّة الانتباه وتقوَّت وجد سهولة كبيرة في تعليمهِ ما يعرفهُ عن طبائع الاشياء التي حولهُ وصارت المدرسة نزهةً لهُ بعد ان كانت سجناً

واذا صحَّ لنا ان نبدي رأياً لنظارة المعارف في هذا القطر اشرنا عليها ان تجمع معلمي مدارسها الابتدائية اسبوعين او ثلاثة في السنة وتكلف احد اساتذة المدرسة الزراعية بالقاء خطب عليهم في العلوم الطبيعية التي تبنى عليها العلوم الزراعية ويقرن الخطب ببعض التجارب العملية فيشرح لهم مثلاً كيفية تنفس الحيوان ومزية الهواء النقي على غير النقي ويريهم المواد الاصلية

التي يتركب منها النبات بتجفيفهِ وحرقهِ ووزن رمادهِ ويشرح لهم خواص العناصر الجوهرية التي يتركب منها اكثر جسم النبات وهي الاكسجين والهيدروجين والكربون والنيتروجين . ويشرح لهم كيفية نمو النبات وفائدة الماء لهُ وفائدة الحرث والعزق للارض. وتطبع هذه الخطب ورسوم التجارب في كراريس توزع عليهم مجاناً فيعودون الى تلامذتهم ويعلمونهم ما تعلموهُ بدروس مختصرة تمتدُّ مدة السنة واذا اضافوا الى المدرسة جنينة صغيرة وخصصوا لكل تلميذ منها مترين مربعين ليركسها ويزرعها ويخدمها ويراقب نبت الزرع فيهما ونموَّهُ وبلوغهُ ويخبر معلمهُ بما راقبهُ تأَصلت في نفسهِ الرغبة في الزراعة وفهم مبادئها من صغرهِ

البيطرة عند العرب

(تابع ما قبلهُ)

الرابع في ما يختار من الخيل وذكر عمرها وما يستدلُّ بهِ على سنها . يختار منها الكريع وهو جيد القوائم دقيق رأس الاذنين السريع في مشيهِ بحيث لا يحرّك الراكب مع السلامة من القطف. والقطوف في الخيل والحمير والبغال ما لا تصل رجلهُ الى مكان يدهِ حين يرفعها وهو عيب قوي .والطليع وهو الذي يرفع رأسهُ في اللجام بحيث يحاذي انف الراكب. والقليع الطويل الواسع الظهر العريض الكفل. ويجتنب منها الطموح وهو الذي لا تستقيم نظرتهُ ويدور بعينيهِ كثيراً والجموح وهو الذي يمشي قلعاً وارتفاعاً كأَنَّ فيهِ عرجاً والرموح وهو كثير الضرب بيده . قالوا ومن الصفات المختارة السبوح وهو الذي لا يضرب الارض بقوة ولا يحرك الراكب مع سرعة السير

اما وقت التقفيز فينبغي ان يكون مدارهُ على زمن تقع فيهِ الولادة وقد ذهب البرد فان المولود في الشتاء لم ينتج فعلى هذا يكون اعدل زمن التقفيز لما حملهُ سنة كالخيل بمصر مثلاً اول فبراير حتى تلد على رأسهِ ويأْكل فلوها السبل بعد اربعين يوماً فقد قال سيار في الزردقة اصح الخيل ما اكل فلوهُ السبل . وبالشام نيسان او بعض آذار وبالروم حزيران . . وجميع الدواب يجب ان ترضع اولادها سنة الاَّ الضان والمعز فثلاثة اشهر والاَّ الخيل فسبعة ايام ومتى فُطم الفلو فليطعم ما تيسر الاَّ الخيل فتسقى الالبان شهراً بحتة ثم شهرين مضافة بدقيق الشعير ثم من شاء فليزد فانهُ ابلغ في نتاجها وقوَّتها وينبغي اختيار الاب والام ليكون الناتج عتيقاً فان لم يكن فالاب ويسمى الفلو حينئذٍ هجيناً ويليهِ كريم الام حسباً وهو المقرَّف اي الذي لا تنبغي قرفتهُ واردأُ الكل البرذون وهو الخسيس من الطرفين . واشهر ما عُرف من انساب الخيل كحيلات بني مدلج ثم النجاديات

اما نبات اسنانها وتبديلها فللثواني من خمسة اشهر الى سبعة وللثوالث الى تسعة بعدها وهذه هي القوارح وحد الاضراس الى عشرة فاذا تمَّ الحول اخذت في التثبيت . و يستدل على عمرها بالاسنان فالملس الصغار البيض لبنية وغيرها مبدول فاذا بقي معها شيء من الثوالث قيل قارح سن مثلاً حتى لم يبقَ شيء فقد جذعت واقل ما يكون حينئذٍ طاعنةً في الخامسة ولا تسقط الاضراس الاَّ لعلة . واصحُّ الخيل ما لم تجاوز ثمانيًا من السنين فقد قيل ان هذا يعقبهُ الانحطاط كالاربعين للانسان

فصل في الاخلاق السيئة . منها سرعة الانتقال من حالة الى أُخرى كالوقوف بعد المشي ويسمّى في الخيل حرنًا وسببهُ سوء الركوب وجهل المروّض لها. وعلاجهُ ضرب السياط وثقل اللجم . ومنها الكلاد وهو العض والنهش مع هيجان واكثر ما يكون في الجمال وعلاجهُ الضرب على الفم وتلقيم الحديد وربط العقل وقد تدعو الحاجة الى برد اسنانهِ . ومنها الجفول من الاشياء المهولة نحو الميتات وسببهُ اما عدم الالفة كأَن ينشأَ الحيوان بارض ليس فيها شيء من الجفول وهذا عامٌّ وقد يتولد في المركوب من ضعف الراكب و يعدل بهِ عن المستصعب رعايةً لغرضهِ فيُعتاد . وعلاجهُ ادامة وضع ما يخاف منهُ عندهُ وقلة الضوء في مربطهِ وان يمشَّى في الظلمة ويلجأَ الى مخالطة ما يخافهُ حتى يرتاض. ومنها النواح وهو ان يقف او يمشي وهو يضطرب بيديهِ فقط وسببهُ غالبًا جبلي ولا علاج لهُ وقد يكون لضعف في الحارك وعلاجهُ الكي . ومنها الزوغان وهو الميل بالظهر وارتعادهُ وسببهُ في الاصل قلة الخدمة والجس والتكفيف وكثرة الغبار في المحل وجهل السائس بتفريط الحزم وادمان ربطها من جانب واحد وجعل العقد تحت السروج الى غير ذلك وقد يكون عن ثقل في الحمول وعقور . وعلاجهُ زوال الاسباب المذكورة . ومنها الشائق وهو الذي لا يمشي على طريقة واحدة وهذا قد يكون جبليًا وقد يكون لسوء الراكب وعلاجهُ الرياضة وثقل اللجام . ومنها الشبشوب وهو الذي يقف على يديهِ ضاربًا برجليهِ وسببهُ مطلقًا العبث وتوطئة المعلف او رفعهُ . ومنها النفور من النعال لجرح او اصابة مسمار او لقط حصاة وعلاجهُ التأنيس بنحو اللجم . واما اللوص وخروج اللسان وخفوق اللثة وعض اللسان واكل الروث فغالبها خلقي اسبابها المكتسبة الجوع وعلاجها الرياضة والشبع وحزم الخاصرة وتحسين اللجام

واما الخصال المطلوبة فيهِ وخصوصًا في الخيل الدالّة بالفراسة على انهُ ميمون الغرّة فاجودها ان يكون قد اتّسع فمًا ومنخرًا وقلَّ لحم وجههِ خصوصًا الخد وطال ذيلاً ورقَّ صدرًا وعنقًا وصغر حافرًا وقصر ظهرًا وانتصب قوائم وبعُد بينهما واسودَّ محاجر وجحافل وقوائم

واما تعليمهُ فينبغي ان يكون عن عارف بالانواع المحتاج اليها ذي رفق يركب بفخذيهِ مائلاً الى اليسار متوسط العنان يجسُّ بالتدريج دون نخع ولا فتل عنيف ويضرب بحيث لا تشعر الدابَّة . معوداً لها رؤية المهول كفيل واسد . وانفس الاوقات للتعليم آخر الليل الى وسط النهار

ولا اثر لتعيين العلف من نوع مخصوص ولا لتقديرهِ لاختلاف ذلك باختلاف البلاد فان بدو حلب وحاضرتها لو علفوا الخيل فولاً لفسدت رأساً للبرد بخلاف مصر فان قيل ان الشعير ايضاً بارد كالفول فما الفرق حينئذٍ فالجواب من وجهين الاول غروية الشعير وقلة يبسهِ وقربهِ من غذائية الحنطة بخلاف الفول والثاني ما فيهِ من الخاصية الموجبة للطف الخلط المفضي الى صحَّة الجري بخلاف الفول لثقل خلطهِ . وللشعير فعل في كل ذي حافر كالجلبان في كل ذي ظلف وحب القطن شتاء في البقر . وقد يمرن الحيوان على ما ليس من شأنهِ تناولهُ كخيل التتر في اكل اللحم الى غير ذلك . كما لا اثر لتقدير ما تحملهُ في المعركة وغيرها لاختلافهِ ايضاً فقد قيل ان غاية ما تنشط بهِ الخيل في المعركة مئتا رطل من الزرد وغيرها بارطال بغداد وهي مئة وثلاثون درهماً . وكذا قيل حد ما يقوم اضلاعهُ ويملأُ بطنهُ خمسة عشر رطلاً من التبن وستة من الشعير . وينبغي تنقية العلف وهو التبن خصوصاً للمهازيل . وقد يبلُّ العلف ويرش بهِ التبن فانهُ سبب للاقبال على الاكل والهضم ولا يبادر الى شرب الماء فانهُ يفسد المزاج

انتهى باختصار من تذكرة داود البصير . ويرى القارئ فيهِ فوائد جمَّة ولا غرابة في ذلك لان العرب من ادرى الناس بطباع الخيل وطبها

الماء والملح للمواشي

جاء في الغازت الزراعية الانكليزية . ان اهل الزراعة يهملون امرين مهمين جداً وهما سقي المواشي الماء النقي واطعامها شيئاً من الملح . فان الماء النقي لازم للحيوان لزومهُ للانسان وكذلك الملح لازم لصحة الحيوان كما هو لازم لصحة الانسان . وقد تفضل المواشي الماء الناقع على الماء النقي لانها تجد في الماء الناقع شيئاً من الملوحة وطبيعتها تطلب الملح فتشرب الماء الفاسد لاجلهِ بل قد تشرب المياه الممزوجة ببولها لاجل ما فيهِ من الملح فتصاب بعلل مختلفة من جراء ذلك اخصها الاسقاط . فاذا وضعتَ مع علف المواشي ما يكفيها من الملح او اذا وضعت الملح في مكان يسهل عليها الوصول اليهِ صارت تفضل الماء النقي على الماء الفاسد

قال الكاتب رأيت في الشتاء الماضي عجلةً نحيفةً يظهر عليها الاضطراب فسألت صاحبها عن سبب اضطرابها فقال انها لا تأكل وقد جرَّبت لها انواعا مختلفة من العلف فلم افلح فقلت لهُ لعلها تطلب الملح فهل اطعمتها ملحاً فقال كلاَّ وقام من ساعتهِ واتاها بحجر كبير منهُ فجعلت

تلحسهُ بشهيَّة شديدة . ثم التقيت بهذا الرجل بعد مدة فقال لي ان عجلتهُ اخذت تأْكل علفها من ذلك الحين وسمنت ومن ثمَّ صار يضع حجر ملح قرب كل رأْس من مواشيهِ لكي تلحس منهُ ما تشاء فانتفعت من ذلك كثيرًا

باب التقريظ والانتقاد

بلاد العرب مهد الاسلام

ARABIA CRADLE OF ISLAM

BY

REV. S. M. ZWEMER (1)

يعلم قرَّاء المقتطف اسم القس زويمر من مقالتهِ عن الصابئة التي نشرناها في بعض اجزاء المقتطف الماضية وهو مثل غيرهِ من القسوس الذين استوطنوا بلدان المشرق فلم يقتصروا على التعليم والتبشير بل بحثوا عن تواريخ الامم الذين نزلوا بينهم وعاداتهم واخلاقهم والَّفوا في ذلك الكتب الواسعة وهم اقدر على التأليف من ابناء المشرق انفسهم لانهم يعرفون لغات كثيرة فيطلعون على ما كتبهُ المتقدمون والمتأَخرون في الموضوع الذي يقصدون الكتابة فيهِ فلا يفوتهم شيء عرفهُ غيرهم عنهُ . والقس زويمر من هذا القبيل فقد الَّف كتابًا مسهبًا وصف فيهِ بلاد العرب وذكر جغرافيتها وامهات مدنها وخواص تربتها وحيواناتها وخلاصة تاريخها وظهور الاسلام فيها واحوالها السياسية واللغة العربية وآدابها والعرب واصلهم وعلومهم وصنائعهم ومذاهبهم الى غير ذلك مما يطول شرحهُ . وقد تمكَّن من جمع هذا الكتاب النفيس لمعرفتهِ باللغات الاوربية واللغة العربية واطّلاعهِ على كثير من الكتب والشروح فوق ما علمهُ بالاختبار من قيامهِ في بلاد العرب السنين الطوال وكثرة اسفارهِ فيها ومشافهتهِ لاهلها . وزيَّن الكتاب بكثير من الصور وجمع فيهِ من الفوائد ما يعز العثور عليهِ في غير المكاتب الكبيرة وقدَّم لهُ صديقنا الدكتور دنس الاميركي مقدمة وجيزة قال في ختامها بعد ان وفاهُ حقهُ من المدح ” لنقرأْ هذا الكتاب فتتسع معارفنا وتزيد رغبتنا في مواضيع لا تزول مكانتها من نفوس اهل النظر والرويَّة “

---

(1) Messrs. Oliphant, Anderson and Ferrier, 30, St. Mary Street, Edinburgh. Price 7/6.

وسنلخص فصلاً او فصلين من فصول هذا الكتاب في بعض الاجزاء التالية لكي يشترك ابناء العربية في الاطلاع على ما فيهِ من الفوائد

قصص القديسات

STUDIA SINAITICA No. IX and X (1)

Edited by A. Smith Lewis M. R. A. S.

لا تمضي سنة حتى تتحفنا العالمة الفاضلة مسز لويس بكتاب من الكنوز التي اكتشفتها في دير سينا ونسختها بيدها او صورتها بالفوتوغراف وعادت بها الى بلاد الانكليز حيث قرأتها وصححتها وترجمتها وطبعتها ونشرتها حتى يطلع عليها اهل الخافقين. وقد اتحفتنا الآن بكتاب قصص القديسات بالسريانية كتبهُ راهب اسمهُ يوحنا الحبيس او العمودي من دير بقرب انطاكية اسمهُ دير مار قديسا في قانون ولم يجد رقًّا فارغًا يكتبهُ عليهِ فكتبهُ على نسخة من الانجيل وكان ذلك في القرن الثامن للميلاد اي منذ الف ومئة سنة. وقد حفظ الكتاب وعلى كل صفحة منهُ شيءٌ من قصص القديسات وتحتهُ جانب من الانجيل. فان القدماء كانوا يطرّسون الرقوق اي يمحون الكتابة عنها ويكتبون عليها كتابة جديدة وكذا فعل هذا الراهب بنسخة قديمة من الانجيل لكن الكتابة التي محاها بقي اثرها ظاهرًا في الرق فنسخ الانجيل عنها وطبع وقد اتينا على ذكرهِ في حينهِ واما قصص القديسات فلم تنشرها مسز لويس الاَّ الآن لانحراف صحتها ولمشاغل عرضت لها. ومن يطلع على وصف المشاق التي عانتها في نسخ هذا الكتاب وقراءتهِ وترجمتهِ لا يسعهُ الاَّ الاعجاب بهمتها واقدامها

دفاع بلفنا

للفاضل عظم زاده حقي بك نجل المرحوم عبد القادر بك العظم

اشتهرت مدينة بلفنا مدة الحرب الاخيرة بين الدولة العثمانية ودولة الروس بثبات حاميتها وابلاء جنودها بالروس حتى تعذر عليهم فتحها خمسة اشهر. ومع مناعة موقعها واهميتها الحربية ”لم توجه الحكومة العثمانية انظارها اليها قبل اعلان الحرب“ على ما قالهُ المؤلف وقد احتلتها فصيلة من فرسان الروس القوزاق في ٨ يوليو سنة ١٨٧٧ واذن قائدها للحامية والمرضى العثمانيين بالخروج منها ولم يتعرَّض للاهالي بشيءٍ. وآخذ المؤلف الحامية لانها سلمت من

---

(1) London C. J. Clay and Sons Cambridge University Press Warehouse Ave Maria Lane.

غير دفاع وقال كان يجب عليها ان تدافع حيناً من الزمن ريثما تأتيها نجدة من فيلق عثمان باشا . والظاهر ان الروسيين لم يقيموا فيها بل خرجوا منها حالاً لانهُ يقال بعيد ذلك انهم اخذوا معهم اثنين من اعيان البلد فعادت اليها الجنود العثمانية في اليوم التالي بقيادة عاطف باشا واحتلت الاماكن الحصينة حولها وأُمر عثمان باشا الغازي بالمضي اليها فمضى بنحو احد عشر الفاً واربعة وخمسين مدفعاً وواقع الروس حال وصولهِ اليها فابلى فيهم وقتل منهم نحو الف وجرح نحو الفين وقُتل من جنودهِ الف وجرح الف . وكان مع الروس ثلاثة عشر الفاً من المشاة وثلاثة الايات من الفرسان وسبعون مدفعاً . وفصَّل الكاتب بعد ذلك مواقع الخطاء في حركات الجنود الروسية. ومما قالهُ في هذا الصدد " اذا امعنا النظر في حركات الروس في هذه المعركة وجدنا ان الجنرال شيلدنر شولدنر قد عبأ فصائل الهجوم على اسوإِ حال لان كلاًّ من هذين القسمين كان يتحرَّك مستقلاًّ عن الآخر حتى ان قائدهما العام كان لم يشعر بحركات الجناح الايسر الاَّ بعد مدة طويلة لعدم ارتباطهما فبسبب هذا الغلط الفاحش تسنَّت للغازي عثمان باشا الفرصة فارسل اولاً قسماً من قواهُ الاحتياطية الى جهة بوكوفا فهزمت الجناح الايمن الروسي واجبرتهُ للتقهقر ثم ضمَّ قواهُ الى بعضها ووجههنَّ الى جناح العدوّ الايسر فهزمهم ايضاً شر هزيمة " . الى ان قال "والسبب في ذهاب مساعيهم (اي مساعي الروس) ايدي سبا وانهزامهم في وقائع بلفنا هي اغلاطهم الفادحة التي ارتكبوها في جميع استطلاعاتهم ". والظاهر ان المؤلف نقل هذا القول عن قائد مجرَّب ثم خاف ان ينتفي بهِ الفخر عن الجنود العثمانية فعقَّب عليهِ بقولهِ " اذا امعنا النظر قليلاً في حالة الجيش العثماني الذي واصل المسير سبعة أيام مع وعورة الارض وقلة المياه وباشر حومة القتال بمجرَّد وصولهِ لهذا اعظم انتصار واقدام عند المنصفين ". وفاتهُ انهُ ان كان الحكم الاول صحيحاً فهو عام على كل المعارك التي تلت المعركة الاولى واما الحكم الثاني فلا يطابق على الجنود العثمانية فيها كلها . والحقيقة ان الحكم الاول صحيح ولكنهُ لا ينفي الفخر عن الجنود العثمانية وقوادها لانها حاربت ببسالة تامَّة ولأَن القائد الماهر هو الذي يستفيد من غلط غيرهِ

وعلى هذا النمط تتوالى الصور والأَحكام في هذا الكتاب فيذكر المؤلف امراً ثم يتصور منتقداً ينتقدهُ فيعقب عليهِ بما يزيل الشبهة كقولهِ في وصف ميدان القتال في الواقعة الاولى " من صعد على تلال يانيق باير وسرَّح بصرهُ في تلك الوقائع المدهشة المزهقة للارواح والمرعشة يرى وقتئذٍ خلقاً كثيراً ما بين جريح وقتيل ومداس بسنابك الخيل يبدي الصياح والعويل والمقذوفات الجهنمية تحوم على الرؤُوس كأَنها غراب البين لتروي الارض من تلك

الدماء الجارية وتملأ الجو من النفوس المتطايرة ويسمع أيضاً دوي المدافع وفرقعة البنادق وتكبير الجنود العثمانية بحالة تقشعر منها الجلود وتشيب منها الاطفال " . فوصف ميدان القتال وصفاً تقشعرُّ منهُ الابدان كما قال ثم اتبعهُ بقولهِ " فما اجمل هذا المنظر اذا كان الغرض منهُ الذب عن البلاد واهلها والدين الحنيفي كما هو الواقع في الحرب الروسي الذي نحن بصددهِ " . ولا ندري كيف يكون جميلاً . وكم من حرب تثار باسم البلاد وباسم الدين والبلاد والدين براءٌ منها وما الدافع اليها الاَّ المصالح والمطامع او الخرق في الرأي والسياسة ولكنها تعزى الى الوطن والدين ايهاما وتدجيلاً

وينتهي الكتاب بسقوط بلفنا وتسليم عثمان باشا بعد ان دافع عنها دفاعا عقد لهُ الوية الفخر المؤبد في صحف التاريخ وكاد يخرق خطوط الحصار ويخرج منها سالماً بعد ان نفد ما فيها من الزاد . وكان قد قسم جنودهُ قسمين في القسم الواحد عشرون الفاً وفي الثاني ١٥ الفاً وامر القسم الثاني ان يلحق بالقسم الاول بعد ساعتين من ابتداء القتال ففاز بخرق خطين من خطوط الحصار الثلاثة في ثلث ساعة ثم تكاثر الروس عليهِ قبل ان ينجدهُ القسم الثاني فلم يقدر على صدهم . وجُرح حينئذٍ برصاصة اصابت فخذهُ وقتل جوادهُ فظنت جنودهُ انهُ قتل واضطرَّ الى التسليم فهنَّأَهُ قوَّاد الروس لبسالتهِ ومهارتهِ في فن القتال . وصافحهُ القيصر وحياهُ واكرم مثواهُ واعاد اليهِ سيفهُ قائلاً انني " اظهاراً لاحترامي لك واعترافاً ببسالتك الفائقة اعيد سيفك اليك فانت مأذون بحملهِ في بلادنا الروسية التي اؤمل ان تجد فيها كل راحة "

والكتاب حسن الطبع وفيهِ خريطة بلفنا وما حولها من الحصون والبلاد . فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناءً جميلاً

ديوان ابي فراس

ابو فراس شاعر مشهور من آل حمدان ملوك الموصل والجزيرة والشام ولذا كان الصاحب ابن عباد يقول بُدِئ الشعر بملك وختم بملك " يعني امرء القيس وابا فراس الحمداني " . ولهُ القصائد الجزلة اللفظ البليغة المعنى والمقاطيع التي تذوب عذوبةً . ومن قصائدهِ المشهورة رائيتهُ التي مطلعها

لعلَّ خيالَ العامرية زائرُ   فيسعد مهجورٌ ويسعد هاجرُ

وهي طويلة جداً جاء فيها على اخبار قومهِ وفاخر بهم ومن ذلك قولهُ

لنا اولٌ في المكرمات وآخرُ   وباطن مجد تغلبيٌّ وظاهرُ

وجدي الذي ساس الديار واهلها   وللدهر نابٌ فيهما واظافرُ
كفى عدوات الغيث وارف كفهِ   فامرع وادٍ واجتنى العيش حاضرُ
وعمي الذي سُلّت بنجد سيوفهُ   فروَّع بالغورين من هو غائرُ
تناصرت الاحياء من كل وجهةٍ   وليس لهُ الاَّ من الله ناصرُ

الى ان قال

فان يمضِ اشياخي فلم يمضِ مجدهم   ولا دُثرت تلك العلى والمآثر
نشيدُ كما شادوا ونبني كما بنوا   لنا شرف ماضٍ وآخر غابرُ
ففينا لدين الله عزٌّ ومنّةٌ   ومنا لدين الله سيفٌ وناصرُ

يشير الى ابني عمهِ سيف الدولة وناصر الدولة. ومن قصائدهِ المشهورة فائيتهُ التي مطلعها

غيري يغيرهُ الفعال الجافي   ويحول عن شيم الكرام الوافي
لا ارتضي ودًّا اذا هو لم يدُمْ   عند الجفاء وقلة الانصافِ
ان الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ   ولوَ انهُ عاري المناكب حافِ
ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً   فاذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافِ

وكلها حكم. ومنها رائية أُخرى مطلعها

اراك عصيَّ الدمع شيمتكَ الصبرُ   اما للهوى نهيٌ عليك ولا امرُ
نعم انا مشتاق وعنديَ لوعةٌ   ولكنَّ مثلي لا يُذاعُ لهُ سرٌّ

الى ان قال مفاخرًا وذاكرًا اسر الروم لهُ

أُسرتُ وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى   ولا فرسي مهرٌ ولا ربُّهُ غُمرُ
ولكن اذا حُمَّ القضاء على امرىءٍ   فليس لهُ برٌّ يقيهِ ولا بحرُ
وقال أُصيحابي الفرار او الردى   فقلتُ هما امران احلاهُما مرُّ
ولا خيرَ في دفع الردى بمذلةٍ   كما ردَّها يوماً بسوءتهِ عمرو

ومن مقاطيعهِ الدالة على رقة طبعهِ قولهُ وقد اعتُقل بقسطنطينية

أبُنيَّتي لا تجزعي   كل الانام الى الذهاب
أبُنيتي صبرًا جميلاً   للجليل من المصابْ
نوحي عليَّ بحسرةٍ   من خلف سترِكِ والحجاب
قولي اذا ناديتني   وعييت عن رد الجوابْ
زين الشباب ابو فرا   س لم يمتَّعْ بالشباب

وقولهِ مرجزًا

وبقعةٌ من احسن البقاعِ   يبشِّرُ الرائد فيها الراعي
بالخصب والمرتع والوساعِ   كانما يستر وجهُ القاعِ
من سائر الالوان والانواعِ   ما ينشر الروم لذي الكلاعِ

وقد عني حضرة الاديب نخله افندي قلفاط بطبع هذا الديوان وحل بعض الفاظهِ وشرح بعض ابياتهِ . وثمن النسخة منهُ نصف ريال مجيدي

ارجوزة الحكم للحكيم

لاستاذنا الرياضي الشهير اسعد افندي شدودي قريحة وقَّادة في نظم الحكَم كما لهُ عقل ثاقب في العلوم الرياضية . ولو كانت بلاد المشرق تعرف قيمة العلم والذكاء وتقدر العلماء قدرهم لا حلَّتهُ المحل الاول بين رجالها ولقطعت حكومتها لهُ راتبًا يستعين بهِ على في شيخوختهِ وينقطع للبحث والتأليف في المواضيع العلمية. ولو كان في المشرق جمهور كبير ممن يعرف قيمة الشعر والشعراء لرأيت القصيدة من قصائدهِ تطبع مرارًا كثيرة في الحول الواحد

وارجوزة الحكم هذه امثال سليمان الحكيم احد اسفار التوراة وقد نظمها اجابة لطلب بعض الاصدقاء وقدَّمها الى جلالة امبراطور المانيا لما زار الديار الشامية فامر جلالتهُ بطبعها على نفقتهِ وغرض ناظمها ان تدرَّس في المدارس الابتدائية حتى يستظهرها التلامذة ويتأدبوا بآدابها ويحكموا بحكمها . ونظمها سلس قريب المأخذ على ما فيهِ من بلاغة المعنى كقولهِ

مخافة القدير رأس الحكمهْ   فمن حواها حاز اسنى نعمهْ
بالحكمة الجهَّال تستهينُ   لكن بها الحكيمُ يستعينُ
يا ابنِ اذا اغراك اهل الشرِّ   بالسيرِ في طريقهم لا تجرِ
لا تغترِرْ بقولهم نقتسمُ   ما بيننا جميع ما نغتنمُ

وقولهِ

لستةٍ يبغضها ربُّ العُلَى   بل سبعة يكرهها من الملا
عيون كِبْرٍ ولسان يكذبُ   ايدٍ جنت قتلَ الاولى لم يذنبوا
قلبٌ غدا ذا فكرٍ فظيعهْ   رِجلٌ الى جناية سريعهْ
شاهد زور كذبهُ اشاعا   يزرعُ بين الاخوة النزاعا

وقولهِ عن لسان الحكمة

لي الرأي لي الشورى انا الفهم الذكي   ولي القوى ولي قويم المسلكِ

بي تملكُ الملوك والولاةُ   وفي القضاء تعدلُ القضاةُ
عندي كنوز المال عندي المجدُ   وقنية فاخرة وسعدُ
قد كنتُ منذ البدء قنية العلي   مسحتُ في القديم منذ الازلِ

والارجوزة كلها على هذا النمط من السلاسة والجزالة . وقد طبعت في المطبعة الادبية بمدينة بيروت طبعاً متقناً بالشكل الكامل . فعسى ان يختارها معلمو المدارس في هذا القطر كما اختاروها في القطر الشامي لتعليم تلامذتهم قصائد ان استظهروها كانت لهم مرشد في سبل الحياة . واننا بلسان المهذبين والمتهذبين نقدم الشكر الوافر لحضرة ناظمها الفاضل

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر دسمبر ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويمرُّ بتباينهِ الاعظم على ٢٠ درجة و ٥٠ دقيقة غربًا في الثامن من الشهر الساعة ٥ صباحًا ويرى في الفجر اياماً بعد ذلك . وسيرهُ مستقيم في برج العقرب ويمرُّ بعرضهِ الشمسي الاعظم شمالاً في الثالث من الشهر الساعة ٦ مساءً وبعقدتهِ النازلة في السابع والعشرين منهُ الساعة السادسة صباحًا ويقترن باورانوس في الثاني والعشرين الساعة الخامسة مساءً وبالمشتري في الثلاثين منهُ الساعة السادسة مساءً ولكن قربهُ من الشمس يمنع رؤيتهُ

الزهرة

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ وسيرها في الميزان الى العقرب وتقطع عرضها الشمسي الاعظم شمالاً في اليوم الخامس من الشهر الساعة السادسة صباحًا . وفي اليوم الخامس عشر من الشهر يستنير ٠٫٨٣٦ من قرصها

المريخ

المريخ نجم الصباح الشهر كلهُ ويقطع الهاجرة في اليوم الاول من الشهر الساعة الخامسة والدقيقة ٤٣ صباحًا وفي اليوم ٣١ الساعة ٤ والدقيقة ١٣ صباحًا ويستنير ٠٫٩٠٧ من قرصهِ في الخامس عشر من الشهر وسيرهُ مستقيم في برج الاسد

المشتري

المشتري نجم المساء حتى الرابع عشر من الشهر الساعة ١١ صباحاً حينما يصير في الاقتران مع الشمس وبعد ذلك يصير نجم الصباح وتمنع رؤيتهُ لقربهِ منها وسيرهُ مستقيم في برج العقرب ويقترن بعطارد في الثلاثين من الشهر الساعة السادسة مساءً

زحل

يمر زحل ايضاً باقترانهِ مع الشمس هذا الشهر في التاسع والعشرين منهُ الساعة الثالثة مساءً ولذلك تخفيهِ اشعة الشمس عن الانظار وهو في برج الرامي

ويمر اورانوس باقترانهِ مع الشمس في الخامس من الشهر الساعة التاسعة صباحاً ومع عطارد في الثاني والعشرين منهُ الساعة ٥ مساءً ويكون نبتون في الاستقبال في العشرين من الشهر الساعة ٦ صباحاً وهو بين الثور والجوزاء

اقترانات القمر بالسيَّارات

اليوم	الساعه						
١٤	٣	صباحاً	يقترن	بالمريخ فيقع	٨°	٢٦'	شمالاً
١٩	٩	"	"	بالزهرة فتقع	٢°	١٩'	"
٢٠	٢	مساءً	"	بعطارد فيقع	٠°	٢'	"
٢١	٣	"	"	بالمشتري "	١°	٣٨'	جنوباً
٢٢	٣	"	"	بزحل "	٢°	٢٤	"

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٦	١٢	٣٨	مساءً	البدر
١٤	١٢	٤٢	صباحاً	الربع الاخير
٢٢	٢	١	"	الهلال
٢٩	٣	٤٨	"	الربع الاول
٣	٩	٤٨	مساءً	في الاوج
١٥	٣	٢٤	"	في الحضيض
٣٠	٥	٥٤	"	في الاوج

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) اكل لحوم الناس

السويس . مينا افندي راغب . قرأْت في احدى الجرائد اليومية ما نصهُ : "عاش الانسان دهرًا طويلاً يأْكل لحم الانسان فعلاً الى ان تمكّن حكماءُ الصين والهند من ابطال اكل اللحم كليًّا والى ان جاءَت الشرائع الدينية الاولى في الجهات السائرة ابتداءً بتخصيص ما يؤْكل من الانسان الذي يذبح للمعبود ثم ابقت القربان وجعلت الذبيحة طعمة للنيران حتى تدرَّج الانسان الى نسيان لذة لحم اخوانهِ" فهل هذا القول صحيح

ج ان مسأَلة اكل الناس بعضهم بعضاً من اعوص المسائل الانثروبولوجية لما فيها من الامور المتخالفة التي لا ترجع الى اصل واحد فقد كان المظنون اولاً ان الناس لا يأْكلون بعضهم بعضاً الاَّ وهم في حالة التوحُّش التام ثم وجد ان اممًا كثيرة بقي اكل لحوم الناس شائعًا عندها وهي متمدنة كامَّة المكسيك القديمة . وظهر بالاستقراء ان البعض يقتصرون على اكل لحم العدو انتقامًا والبعض على اكل لحم الصديق ضنًّا بجسمهِ ان يأْكلهُ الدود واهالي استراليا يأْكلون اولادهم اذا خافوا عليهم من الجوع او تعذَّر حملهم معهم في ارتحالهم من مكان الى آخر . وبعض اهالي افريقية لا يأْكلون الاَّ اسراهم . وآثار مآكل الناس القدماء من العظام والاصداف تدلُّ على انهم لم يكونوا يأْكلون بعضهم بعضًا في اوائل الدور الرابع من الادوار الجيولوجية لان ليس فيها شيءٌ من عظام الناس فكأَنهم لم يلجأُوا الى اكل بعضهم بعضاً الاَّ بعد ان كثر عددهم وضربت المجاعات فيهم . ويستدلُّ من الآثار التي اكتشفها الاستاذ بتري في القطر المصري منذ سنتين ان اصحابها كانوا يأْكلون لحوم الناس لكن لم يعلم حتى الآن زمن وجودهم في هذا القطر . ومن رأْي الاستاذ تيلر ان الناس كفُّوا عن اكل لحوم الناس لسبب ديني لما اعتقدوا بوجود النفس فامتنعوا عن اكل الجسد لكي يبقى منزلاً لها . ويخالف ذلك ان بعض الناس بقوا يأْكلون اخوانهم لسبب ديني ايضاً معتقدين ان

الآلهة تأكل النفوس وهم يأكلون الاجساد. والكلام في هذا الموضوع طويل متشعب ويتعذَّر بت الحكم القاطع فيهِ. والاحكام التي قرأتموها ظنون او ترجيحات يتعذَّر اثباتها بالدليل القاطع

---

(٣) العرَّافون

امبابه. اسكندر افندي نبيه. يقول بعضهم ان العرَّافين كانوا في الازمنة الغابرة قادرين على قتل الانسان او قلب صورتهِ الآدمية الى اية صورة ارادوا بتلاوة بعض كلمات. وانهم كانوا يستخدمون الجن في قضاء حوائجهم فهل ذلك صحيح وكيف تعللون ما يروى من هذا القبيل

ج الدعاوي التي ادعاها العرَّافون القدماء يدَّعيها عرَّافو هذا الزمان. وكل ما امتُحن من دعاوي هؤُلاء ظهر فاسدًا فاذا حقَّ لنا ان نقيس الماضي على الحاضر في هذا الامر كما نقيسهُ في كل الامور حقَّ لنا ان نقول ان كل ما يروى عن العرَّافين القدماء من هذا القبيل كاذب او مبالغ فيهِ

(٣) سحرة مصر

ومنهُ. اذا اجبتم بفساد دعاوي العرَّافين فكيف تعللون ما فعلهُ عرَّافو مصر على ما جاء في التوراة

ج يظهر من نص التوراة ان فرعون دعا العرَّافين او السحرة ليعلم ما اذا كان فعل موسى وهرون من قبيل فعلهم كأَنهُ كان يعلم انهم يفعلون ما يفعلون بخفتهم وحيلهم. اما نجاحهم في جعل عصيهم افاعي تسعى والماء دمًا فمفسرو التوراة يقولون فيهِ ان العرافين كانوا يمسكون الافعي بعنقها فيعتريها نوع من الذهول وتصير كالعصا وان الحواة يفعلون ذلك الآن حتى اذا طُرحت على الارض فارقها الذهول وعادت الى السعي. وانهم صبغوا الماء بصبغ احمر خفية فصار مثل الدم ولم يكن الماء الذي صبغوهُ كثيرًا لانَّ ماء النيل كلهُ كان قد صار احمر كالدم. واذا شئتم زيادة التصيل فعليكم بمراجعة كتب التفسير

(٤) ملكات مصر

ومنهُ. أَكانت نساءُ العائلات الملكية الفرعونية متعلمات حتى خولهنَّ القانون حقَّ التربُّع على سرير الملك وقبض زمام الاحكام والاَّ فكيف امكنهنَّ القيام باعباء المملكة ان كنَّ جاهلات

ج كنَّ كرجالهنَّ من حيث العلم وعدمهُ والمرأة ليست اقلَّ ذكاء من الرجل اذا تساوت معارفها المكتسبة بمعارفهِ المكتسبة بل قد تكون اقوى من الرجل بداهة فما يستطيعهُ الرجل من ادارة شؤُون المملكة تستطيعهُ المرأة ايضًا اذا تساوت معارفها الاكتسابية بمعارفهِ. هذا ولا يمكننا ان ننشر كل الرسائل التي ترسل الينا ولاسيما اذا كنا مضطرين ان نتعب في تنقيحها ولا ان

نكاتب اصحابها ونخبرهم عن رأينا فيها وهل ننشرها او لا ننشرها والاَّ اضطررنا ان نقضي الوقت في المكاتبة

(٥) مجلة صيدلية

عاليه . لبنان ايليا افندي بارودي . ارجوكم ان تفيدوني عن احسن مجلة او جريدة في فن الصيدلية باللغة الانكليزية وكم قيمة الاشتراك فيها

ج الجريدة المسماة Chemist and Druggist وهي اسبوعية وقيمة الاشتراك فيها ١١ شلناً و ٦ بنسات في السنة. والجريدة المسماة Pharmaceutical Journal وهي اسبوعية ايضاً وقيمة الاشتراك فيها ٢٦ شلناً في السنة من احسن الجرائد التي تطلبونها

(٦) غسل الجنين

مليج . حبيب افندي حنا . اعتاد بعض الاوربيين غسل الجنين حالَ ولادتهِ بالماء الفاتر والنبيذ وعلى زعمهم ان ذلك يمنع الحرارة والدمامل عن جسمهِ فما هي مزايا ذلك وهل استعمالهُ مفيد او غير مفيد

ج اما الغسل بالماء الفاتر الذي حرارتهُ مثل حرارة بدن الطفل فلازم . واما النبيذ فلا لزوم لهُ ولكن يدهن الطفل قبل غسلهِ بالزيت الحلو تحت ابطيهِ وفخذيهِ وفي كل طيات جسمهِ لكي يسهل نزع المادة الجبنية التي تكون على اجسام الاطفال المولودين حديثاً . وقد فصلنا ذلك في الصفحة ٣٨٨ من المجلد الثاني والعشرين من المقتطف

(٧) عمل السبيرتو

ومنهُ . كيف يستخرج السبيرتو ومن اي المواد يستخرج

ج تجدون كلاماً مفصلاً على استخراج السبيرتو في الجزء الاول والثاني من المجلد السابع عشر من المقتطف

(٨) مضرَّة الهوام

امبابه . سمعان افندي عوض . لكل خليقة في الدنيا نفع ما فما نفع العقرب والافعى والزنبور فاني اراها لا تجدي نفعاً وليس منها الاَّ الاذى من سمها الناقع

ج ان اردتم بالنفع النفع لنوع الانسان فالحكم غير صحيح لان بعض المخلوقات ينفعهُ وبعضها لا ينفعهُ ولعلَّ التي لا تنفعهُ او تضرُّ بهِ اكثر من التي تنفعهُ واذا اردتم بالنفع نفعها لمخلوقات أُخرى فالمخلوقات كلها سلسلة متصلة بعضها ينفع بعضاً وينتفع من بعض فالافعى لا تنفع الانسان ولكنها تنفع النمس لانها طعام لهُ وتنتفع من الفار لانهُ طعام لها. والعقرب تأكل بعض الحشرات فتنتفع بهِ وتأكلها حشرات اخرى فتنتفع بها وهلمَّ جرًّا . والقول بان كل الاحياء مخلوقة لنفع الانسان تحكم لا دليل عليهِ

(٩) جريدة للمبتدئين بالانكليزية

اسيوط . محمد افندي توفيق رستم .

ارجوان تذكروا لي اسم جريدة انكليزية اسبوعيةً يفهمها المبتدئون باللغة الانكليزية وكم قيمة الاشتراك فيها

ج نظن ان الجريدة Boys' Own Paper الشهرية او الاسبوعية تفي بغرضكم وقيمة الاشتراك في الشهرية ثمانية شلنات في السنة وفي الاسبوعية ٦ شلنات و ٦ بنسات ويضاف الى كلٍّ منهما ٨ بنسات عن جزء الصيف و ٨ بنسات اخرى عن جزء عيد الميلاد . وقد رأينا الثانية منهما وحرفها دقيق يتعب بصر المبتدىء

باب الاخبار العلمية

غنى المدارس الاميركية

في الولايات المتحدة الاميركية عشرون مدرسة جامعة لكل منها من الاموال والاملاك ذات الريع (الايراد) ما يزيد علي مليون من الريالات . من ذلك مدرسة هارفرد ولها عشرة ملايين ريال ومدرسة كولمبيا ولها من الاملاك والاموال ما ريعهُ السنوي ٤٢٥ الف ريال ومدرسة كورنل ولها ستة ملايين ريال ومدرسة شيكاغو ولها ثمانية ملايين ريال ومدرسة جونس هبكنس ولها ثلاثة ملايين ريال ومدرسة الجنوب الغربي ولها ثلاثة ملايين ريال ايضاً ومدرسة بنسلڤانيا ولها مليونان وخمس مئة الف ريال . وللمدارس الاميركية الجامعة كلها من الاموال والاملاك ذات الريع ما يساوي ١٥٠ مليون ريال فيبلغ ريعهُ السنوي ستة ملايين ريال اذا كان الريع اربعة فقط في المئة وهو اكثر من ذلك . وتبلغ قيمة مبانيها وسائر ممتلكاتها التي لا ريع لها ١٥٠ مليونًا اخري من الريالات فكأَنها تساوي ثلثمئة مليون ريال او ستين مليونًا من الجنيهات المصرية

هذه هي المدارس التي انشأَتها الامة الاميركية ووقفت عليها الاموال لكي تنفق من ريعها . وفي الولايات المتحدة الاميركية الآن من السكان سبعة اضعاف سكان القطر المصري فاذا اردنا ان نجاري تلك البلاد في ارتقائها العلمي وجب ان يكون عندنا من المدارس الاهلية الجامعة ما تساوي املاكهُ ومقتنياتهُ سبعة واربعين مليونًا من الريالات او نحو عشرة ملايين من الجنيهات

ويندر ان يكون التعليم مجانيًّا في المدارس الاميركية والغالب انهُ غير رخيص لكن

ما يدفعهُ التلامذة لا يقوم الاَّ بجانب صغير من نفقات هذه المدارس لغلاء اجور الاساتذة فيها فان بعضها يدفع اجرة الاستاذ سبعة آلاف ريال في السنة وبعضها يدفع اربعة آلاف ريال ومتوسط اجرة الاستاذ في اكثرها الفا ريال . والغالب ان ربع المال ينفق في الادارة والثلاثة الارباع في التعليم اي ينفق اجوراً للاساتذة

الخوف من الطاعون

دُعي الاستاذ كالمت مدير مستشفى باستور في ليل الى الخطابة في مدرسة الاطباء والجراحين في بلاد الانكليز فاخذ موضوع خطبتهِ الطاعون وقال في خطبتهِ الاولى التي تلاها في ٧ نوفمبر الماضي ان الطاعون يتهدَّد الآن كل الدول البحرية فلا بدَّ من اتخاذ الوسائل الفعَّالة لمنع انتشارهِ . وتقدُّم علم حفظ الصحة وما عرفناهُ حديثاً مدة السنوات الخمس الماضية من اصل الطاعون وعلاجهِ والوقاية منهُ يمكناننا من مقاومتهِ ومن حصر المراكز التي يتولد فيها. وقد عُرف الآن ان ميكروب الطاعون يوجد في الطعنات (الدبل) وفي بصاق المطعون ويوجد ايضاً في دمهِ احياناً كثيرة وهو قصير بيضي الشكل يمكن تلوينهُ واستنباتهُ بسهولة . والفيران والجرذان وخنازير الهند شديدة الميل للعدوى بهِ. وقد شوهد منذ زمن طويل انهُ حيث يظهر يموت كثير من الفيران والجرذان . وكان الصينيون والقبائل الرحل التي تسكن سفوح حملايا الشمالية يهجرون مواطنهم ومنازلهم اذا رأَوا فيها كثيراً من الجرذان الميتة هرباً منهُ ولا يزالون يفعلون ذلك الى الآن . ويقال انهُ يصيب البقر والخنازير ايضاً ولكن لا يظهر انها تصاب بهِ ما لم تلقح . ولا تصاب بهِ الطيور بسهولة لان العقبان التي تأكل جثث موتى الطاعون في مدافن المجوس في ضواحي بمباي لا تصاب بمكروبهِ ولكن لا يبعد انها تنشر ميكروبهُ حيث تلقي بزرقها . وقد وُضع حمار سليم في قفص مع حمار آخر مصاب بهِ فعُدِي السليم من المصاب . والذي نقل العدوى في هذه الحادثة وامثالها البراغيث والذبان ونحوها من الحشرات التي تقع على جلد الحيوان

وشرح كيفية العدوى في خطبتهِ الثانية التي القاها في ١٤ نوفمبر فقال ان بعض اوبئة الطاعون كانت العدوى فيها تدخل الجسم من الانف او الفم لانها كانت تظهر اولاً في الرئتين وبعضها كانت العدوى فيها من الجلد اما من جرح طفيف او من لسعة برغوث او بقة . ولما ظهر الطاعون في بلاد البرتغال في العام الماضي شاهد انساناً اصيب بهِ من لسعة بقة . وذكر هنكن وسيموتو انهما شاهدا اناساً في بلاد الهند اصيبوا بالطاعون من لمسهم جرذاناً ميتة والمرجح ان براغيث الجرذان

طارت منها الى الناس واوصلت العدوى اليهم . وثبت بالامتحان انهُ اذا وضع جرذ سليم مع جرذ مطعون في بدنهِ براغيث اصيب السليم بالطاعون حالاً ولكن اذا وُضع الجرذ السليم مع جرذ مطعون لا براغيث فيهِ لم يصب بالطاعون . ومهما كانت السبل التي يدخل فيها ميكروب الطاعون الجسم فهو يتكاثر اولاً في الاوعية اللمفاوية ثم في الدم . انتهى

ويظهر مما كتبهُ مكاتب التيمس من ڤينا حديثاً انهُ ظهر للوفد الطبي النمسوي الذي أُرسل الى بلاد الهند للبحث عن الطاعون وعدواهُ ان العدوى قد تدخل الجلد ولو كان سليماً غير مجروح ولا مخدوش

الجرذان وطاعون الاسكندرية

وعلى ذكر الجرذان وعلاقتها بالطاعون نلخص ما ذكرهُ بنتشنج بك مدير مصلحة الصحة في هذا الموضوع في تقريرهِ الاخير قال : لما ارسل الوفد المصري الى بلاد الهند في اوائل سنة ١٨٩٧ حاول الدكتور بتر احد اعضائهِ ان يجد جرذاناً ليبحث عن ميكروب الطاعون في ابدانها فلم يجد والظاهر ان جرذان بمباي كانت قد ماتت كلها او هاجرت منها . واشتدَّ الطاعون في بمباي كل شتاءٍ بعد ذلك

وسنة ١٨٩٨ اعلنت الحكومة العثمانية ان الطاعون موجود في جدَّة فذهب الدكتور بتر اليها فرأى في شوارعها كثيرًا من الجرذان الميتة او التي تكاد تموت ووجد ميكروب الطاعون في كل جرذ منها بحث في بدنهِ بحثاً ميكروبياً

ولما أُعلن وجود الوباء في الاسكندرية في العام الماضي شاع ايضاً انهُ وجدت جرذان كثيرة ميتة في نادي البحَّارة والجنود الانكليزية وهو على شاطئ البحر يتردَّد عليهِ البحارة من البوارج الانكليزية والجنود من الحامية الانكليزية . وقال القس لورنس مدير ذلك النادي انهُ رأَى الجرذان هناك ميتة او مريضة قبل ما أُعلن وجود الطاعون في الاسكندرية بثلاثة اسابيع . وكانت الجرذان كثيرة هناك قبل ذلك ومن ثم لم يعد يرى شيئاً منها . ولم يفحص احد تلك الجرذان ليعلم ما اذا كان الطاعون سبب موتها . ولم يُصَب احد بالطاعون من الذين يترددون على النادي ولا من خدمهِ مع ان بعض الخدم مسكوا الجرذان الميتة ورموها من غير احتراس . وامام النادي مخزن بدَّال كبير قال صاحبهُ ان فيهِ جرذاناً كثيرةً ولم يرَ جرذاً ميتاً منها

وأُعلن وجود الطاعون بين رجال البوليس في محرَّم بك وقيل حينئذٍ انهُ شوهدت جرذان كثيرة ميتة قبل ظهورهِ باسبوعين ولكن لم يثبت لدى البحث ان الجرذان الميتة كانت اكثر من ثلاثة . ووجدت سبع جرذان ميتة في ثكنة الجنود الانكليزية بالاسكندرية

ولم يصب احد من الجنود التي فيها بالطاعون ولكن اصيب البعض من الوطنيين الساكنين على مقربة منها . واصيب ثلاثة بالطاعون في المطحنة الفرنسوية في ضواحي المدينة . وشهد مديرها انهُ رأى فيها جرذانًا ميتة قبيل ذلك ثم هجرتها الجرذان كلها

ولما رأت ادارة الصحة ان كثيرًا من الجرذان مات في الاسكندرية من غير ان تبحث عن ميكروب الطاعون في بدن جرذ منها اعلنت انها تعطي جائزة لمن يرشدها الى جرذ ميت فأُرشدت الى مئات من الجرذان والفيران ولكنها لم تجد ميكروب الطاعون الاَّ في اثنين منها الواحد فار وجد في بيت انسان مات بالطاعون والثاني جرذ وجد قرب كنيسة الاقباط وهي على مقربة من المستشفى اليوناني حيث عولج كثيرون من المطعونين. وأُمسكت جرذان كثيرة من مستشفى الحكومة حيث عولج كثيرون من المطعونين ولكن لم يوجد في ابدانها شيء من مكروبهِ

ومما يستحق الالتفات ان اكثر الذين طعنوا من الاوربيين في الاسكندرية كانوا من الخبازين والبدالين والجرذان كثيرة في الافران ومخازن البدالين كما لا يخفى . ولكن الجرذان التي أُتي بها من الافران والمخازن لم يوجد فيها شيء من ميكروب الطاعون . انتهى

ولا ندري ما هي الوسائل التي اتخذتها مصلحة الصحة لتكون على ثقة من ان الجرذان التي بحثت فيها هي من افران الخبازين ومخازن البدالين فان هؤُلاء يبذلون جهدهم لكي لا يروها الجرذان التي عندهم مخافة ان تكتشف ميكروب الطاعون فيها فتحسب افرانهم ومخازنهم ملوثة بهِ وتتلف ما فيها وتضع عليهم الحجر الصحي وتعطل تجارتهم . فمصلحتهم المالية تقضي عليهم بمخادعتها جهدهم

المصل لعلاج الطاعون

لمَّا اكتشف يارسن مصلهُ في بلاد الصين سنة ١٨٩٦ ادَّعى انهُ عالج ستة وعشرين بهِ فلم يمت منهم الاَّ اثنان. ثم استعمل مصل رو في بلاد الهند سنة ١٨٩٨ فمات ٤٩ في المئة من الذين عالجهم بهِ وكان متوسط الوفيات حينئذٍ ٨٠ في المئة . الاَّ ان اطباء الهند ورجال الوفد الالماني لم يشيروا باستعمال هذا المصل. وادعى الدكتور كالمت الفرنسوي انهُ استعمل مصلاً مصنوعًا في مستشفى باستور بباريس في الطاعون الذي ظهر ببلاد البرتغال في العام الماضي فتوفي ١٣ في المئة من الذين عولجوا بهِ وكانت الوفيات نحو ٧٤ في المئة من الذين لم يعالجوا بهِ

هبة علمية يونانية

توفي بالامس رجل يوناني من نزلاء هذه العاصمة عن نحو مليون من الجنيهات كسبها في هذا القطر واوصى لابناء امتهِ بنحو ثلاثين الف جنيه وللجمعية الاسلامية بالف

جنيه . ولا ندري ما يكون حظ العلم من وصيتهِ . وقد قرأنا في الجرائد العلمية الاخيرة ان رجلاً يونانياً من نزلاء باريس اسمهُ دانيال اوسيرس توفي عن ثروة طائلة واوصى بجانب كبير من امواله ليعطى ريعهُ جائزةً كل ثلاث سنوات لمن يكتشف انفع اكتشاف لنوع الانسان ولا تكون الجائزة اقل من مئة الف فرنك وقد تبلغ مئتي الف فرنك. وخصَّ هذه الجوائز بالفرنسويين الذين استوطن بلادهم واثرى فيها ولم يشرك غيرهم معهم فيها الاَّ اذا كان في باريس معرض عام واجتمع فيهِ الناس من الامم المختلفة فتكون الجوائز عمومية حينئذٍ

المعرض الاميركي

يهتم الاميركيون الآن بانشاء معرض كبير في مدينة بفلو يفتح في اول مايو المقبل ويقفل في آخر اكتوبر ويؤتى اليهِ بقوة خمسة آلاف حصان من شلال نياغرا لانارتهِ وادارة آلاتهِ

اضرار الصراصير

يكره الناس الصراصير ويعافون كل طعام وقعت فيهِ وهم لا يدرون سبباً لذلك غير ما يجدونهُ في نفوسهم من الكره الطبيعي لها. لكن يظهر من مقالة نشرها الدكتور سرڤيور في مجلة الجمعية الطبية الطبيعية في بمباي ان الصراصير تصاب بامراض حلمية والجراثيم التي تتولد منها هذه الامراض قد تعيش في بدن الانسان ايضاً ولا يبعد ان تضرَّ بهِ. فان كان ذلك كذلك فالصراصير مضرَّة فوق قبح منظرها وخُبث رائحتها

امتحان طيران البالون

أُمتحن طيران البالون في معرض باريس قبل اقفالهِ فسار بالون الكونت هنري ده لاڤول ١٩٢٥ كيلومتراً في ٢٥ ساعة و٤٥ دقيقة ونزل في كوروستشو بروسيا واعظم ما بلغهُ من الارتفاع ٥٧٠٠ متر. وسار بالون المسيو جاك بالسان ١٣٤٥ كيلو متراً في ٢٧ ساعة و٥ دقايق وبلغ ارتفاعهُ ٦٥٤٠ متراً . وسار بالون المسيو جاك فور ٩٥٠ كيلو متراً في ١٩ ساعة و٢٤ دقيقة ونزل في المانيا. فاعطيت الجائزة الاولى للكونت هنري ده لاڤول

الحمى الصفراء والبعوض

يرى الاطباءُ الآن ان البعوض ينقل عدوى الحمى الصفراء الخبيثة كما ينقل عدوى البعوض . ويظهر من بعض التجارب التي أُجريت حديثاً في جزيرة كوبا ومات فيها الدكتور لازير بالحمى الصفراء ان البعوض ينقل ميكروبها حتماً ويرجح ان ميكروبها لا ينتقل من المصاب الى السليم الاَّ بهِ. فاذا ثبت ذلك كانت البعوضة التي يقال انها تدمي مقلة الاسد من شرِّ الهوام على نوع الانسان

قناديل الاسيتيلين

يظهر ان الالمانيين احكموا عمل قنديل الاسيتيلين والاستصباح بهِ حتى صار استعمالهُ خاليًا من الخطر فقد رأينا في الجرائد العلمية الاخيرة انهُ يستعمل في المانيا الآن مئتا الف مصباح كبير من الاسيتيلين وان مركبات سكك الحد الخاصة بالحكومة الالمانية أُنيرت بهِ . وقد استعمل في المانيا في العام الماضي ١٧ الف طن من كربيد الكلسيوم الذي يتولد منهُ غاز الاسيتيلين وهي تساوي في انارتها سبعة ملايين جالون من البتروليوم . وتنار بهِ الآن ٣٢ مدينة صغيرة ولا يبعد ان تستغني المانيا بهِ عن البتروليوم وعن غاز الضوء

سمُّ الخمور

لا يخفى ان الاشربة الروحية كالخمر والكنياك والعرقي والشمبانيا تسكر شاربها ولكن بعضها يصحو الشارب منهُ بعد زوال فعل السكر سليماً كأَنهُ لم يشرب مسكرًا وبعضها يصحو منهُ ضعيفاً مخبولاً . وقد سمعنا من بعض شاربي المسكرات ان الخمر اللبنانية المستخرجة من العنب لا غير تسكر مثل سائر المسكرات ولكنها لا توقع في الجسم خبالاً كالمسكرات الاوربية او كالمسكرات البلدية المصنوعة من السبيرتو الاوربي . وكلما عتقت الخمر كان شربها اسلم عاقبة ولم نمتحن ذلك قبلاً ولا بحثنا عن سببهِ لاعتقادنا ان انواع المسكر كلها في الضرر شرع ولا فائدة تجنى منها حتى لقد خالفنا جمهور الاطباء في ذلك غير ان الطبيب الشهير العلامة السر لودر برنتن والدكتور تنكلف بحثا حديثًا بحثًا مدققًا في هذا الموضوع فوجدا ان الفرفورال الذي يكون في المسكرات وهو يتولد وقتما يتولد السبيرتو من فعل الحامض بقشر الحبوب هو السبب لهذا الخبال الذي يبقى في الجسم بعد السكر فانهُ سم ناقع يسم الجسم ولا يزول فعلهُ منهُ سريعًا . وان المسكرات التي نُزع منها الفرفورال وغيرهُ من الالدهيدات تسكر شاربها ولكنهُ يعود الى حالهِ بعد زوال فعلها المسكر ولا يبقى فيهِ شيء من الخبال والضعف . وكتب هذان الفاضلان مقالة وجيزة في هذا الموضوع نشراها في الجزء الاخير من جريدة اللانست الطبية وسنأْتي عليها في الجزء التالي . ويظهر منها ان هذا السم اقل في الاشربة المعتقة منهُ في الاشربة الجديدة

اقفال معرض باريس

أُقفل معرض باريس ليلة الثاني عشر من نوفمبر وقد بلغ عدد الذين دخلوهُ بتذاكر قدموها عند ابوابهِ ٤٨ مليونًا وكان عدد الذين دخلوا المعرض السابق ٢٨ مليونًا . والتذاكر التي طبعت لهذا المعرض ٦٥ مليونًا فيكون قد بقي منها ١٧ مليونًا من غير استعمال وكان اكثر الزوَّار الاجانب من الالمان

ويتلوهم البلجيون واكثر زوار المعرض الماضي من الانكليز ويتلوهم البلجيون . واكثر ما بلغهُ عدد الداخلين في يوم واحد ٦٠٠٠٠٠ واكثر ما بلغهُ في المعرض الماضي ٣٣٥٣٧٧ وبلغت نفقات هذا المعرض نحو عشرة ملايين من الجنيهات والمظنون ان خزينة فرنسا استردت اكثر هذا المال من زيادة مال الدخولية . وطلب الاستاذ جدس وغيرهُ من الاساتذة ابقاء قصور الدول لكي تجعل متاحف ودورًا للتعليم فاجيب طلبهم في بعضها

السم في البيرا

اثبتت جريدة اللانست الطبية ان البيرا قد تحوي مقدرًا كبيرًا من الزرنيخ يأتيها من السكر الذي يدخل فيها فانهُ قد يكون في الرطل من هذا السكر ثلاث قمحات من الزرنيخ ويكون في الكاس من البيرة خمس قمحة من الزرنيخ واكثرهُ من الحامض الزرنيخوس السام جدًّا . فعسى ان تنتبه ادارة الصحة المصرية الى ذلك وتمتحن انواع البيرة المستعملة في هذا القطر لانهُ ان كانت البيرة تسمّ في بلاد الانكليز مع ما فيها من شدّة المراقبة فالاولى ان تسمّ في هذا القطر . وسمّها لا يقصد بهِ سم شاربيها بل معالجة السكَّر الذي يستعمل فيها

سكان مصر والجزائر

بحث المستر رندل مكفر والمستر ولكنس عن احوال البربر سكان الجزائر وعن علاقتهم القديمة بمصر فوجدا في خزف "القبائل" ما يدلُّ على اصلهِ المصري

هبات اكيلولوبلو

فتحت وصية المسيو اكيلولوبلو الغني اليوناني من نزلاء القطر المصري فاذا هو قد اوصى فيها بتسعة آلاف وسبع مئة جنيه للمدرسة التي انشأها في زنكارادا مسقط رأسهِ وخمسة عشر الف جنيه ومنزلهِ في الموسكي للطائفة اليونانية في العاصمة وثمانية آلاف جنيه لانشاء مستشفى والفي جنيه للفقراء والف جنيه للجمعية الخيرية الاسلامية

اقدم اوراق البنك

وضع في المتحف البريطاني حديثًا ورقة بنك صينية صدرت في عهد دولة منج اي منذ خمس مئة وعشر سنوات او قبلما صدرت اوراق البنك في اوربا بنحو ثلثمئة سنة وهي دليل قاطع على ان تلك البلاد ارتقت الارتقاء المالي قبل اوربا بقرون كثيرة وهناك ادلة كثيرة على انها ارتقت ايضًا الارتقاء العلمي والصناعي قبل اوربا فلا يفسر انحطاطها بعد ذلك وسبق اوربا لها الاَّ بامر من امرين اما ان شعبها شاخ فانحط ولم يعد ارتقاؤهُ ميسورًا او ان في ما تخضع لهُ من السياسات والديانات ما منع ارتقاءها عن الحد الذي وصلت اليهِ

الجزء السادس من المجلد الخامس والعشرين

٤٨١ عشرون عاماً على مصر
٤٨٥ رحلة دوق ابروزي (مصوَّرة)
لنجيب افندي صروف
٤٩٠ معرض باريس العام
٥٠٣ وصف مصر
لصاحب السماحة السيد توفيق البكري نظمها وهو في الاستانة العلية
٥٠٥ الغيريَّة
بقلم جناب فارس افندي الخوري
٥١٥ الجغرافية عند المشارقة
بقلم جناب محمَّد افندي كرد علي
٥٢٢ مدائح الشعراء وعطايا الامراء
بقلم جناب خليل افندي ثابت
٥٢٩ رواية تنكرد
للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد
٥٣٧ بناء الاجسام الحية (مصوَّرة)
خطبة الرئاسة للسر وليم ترنر رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني
٥٤٢ البوم وطباعهُ (مصوَّرة)

٥٤٥ باب المراسلة والمناظرة * الارغونوت . تنازع البقاء والتعاون
٥٥١ باب الزراعة * التعليم الزراعي في فرنسا . البيطرة عند العرب . الماء والملح للمواشي
٥٥٨ باب التقريظ والانتقاد * بلاد العرب مهد الاسلام . قصص القديسات . دفاع بلفنا . ديوان ابي فراس . ارجوزة الحكم المحكيم
٦٠٤ باب الرياضيات * السيارات وحركاتها في شهر دسمبر ١٩٠٠ .
٦٠٦ باب المسائل * اكل لحوم الناس . العرّافون . سحرة مصر . ملكات مصر . مجلة صيدلية . غسل الجنين . عمل السبيرتو . مضرَّة الهوام . جريدة للمبتدئين بالانكليزية
٦٠٩ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٦ نبذة